معروف چياووك

مأساة بارزان المظلومة

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر – حي راپەرين – اربيل– كوردستان العراق

ت: ٢٢٣٢٠٢١ ص.ب رقم: ١

معروف چياووك

مأساة بارزان المظلومة

اسم الكتاب: مأساة بارزان المظلومة
تأليف: معروف چياووك
تقديم: سامي شورش
من منشورات ئاراس رقم: ٨١
التصميم والإخراج الفني: بدران أحمد حبيب
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: رهيل رشيد
تصحيح: شاخوان كركوكي - عبدالرزاق عبدالله
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الاولى: بغداد ١٩٥٤
الطبعة الثانية: اربيل ٢٠٠١
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل ٢٠٠١/٣١٦

المؤلف معروف چياووك

عن الكتاب والكاتب

بعد ٤٧ عاماً على صدور الطبعة الأولى من كتاب (مأساة بارزان المظلومة) في بغداد عام ١٩٥٤، تعيد اليوم دار ئاراس للطباعة والنشر في أربيل طبعه مجدداً في طبعة ثانية انيقة مع مقدمة وتعليقات ضرورية ليحتل الكاتب موقعه اللائق في المكتبة الكردية والعربية.

المؤلف المرحوم معروف چياووك شخصية وطنية كردية معروفة ينتمي الى عشيرة (بالك) القاطنة في قرية (سريشمه) القريبة من بلدة خليفان بمحافظة أربيل، وقد هجرت أسرته الى بغداد حيث ولد فيها عام ١٨٨٥ وفيها اكمل دراسته ونال شهادة الحقوق. حياته السياسية والوظيفية كانت حافلة بالعطاء.

في عام ١٩٢٨ انتخب نائباً عن أربيل في مجلس النواب العراقي وكانت له خلالها مواقف مشهودة. وبعد انتهاء مدة نيابته شغل وظائف عدة اخرها عضواً في محكمة التمييز وبعدها متصرفاً (محافظاً) للواء السليمانية. وهو الى جانب ذلك مؤسس (نادي الارتقاء الكُردي) ببغداد وله عدة مؤلفات مطبوعة، توفي ببغداد عام ١٩٥٨ ونقل جثمانه الى أربيل حيث دفن في مقبرة الشيخ چولي.

وقد جاء اصداره لهذا الكتاب تعبيراً عن روحه الوطنية والقومية تجاه شعبه وقائده مصطفى البارزاني، وكان صدور الكتاب تحدياً للظروف السياسية القائمة آنذاك.

طارق ابراهيم شريف

تمهيد

بقلم: سامي شورش

تشكل مسألة بارزان وتاريخها السياسي واحداثها الدراماتيكية خصوصاً مآسي البارزانيين وانتفاضاتهم القديمة منها ضد الدولة العثمانية، والمعاصرة ضد الدولة العراقية، مصدراً رئيساً من مصادر الحركة التحررية القومية الكردية ونشوئها الحديث في مطالع القرن العشرين. ورغم أن عدداً من الكتاب والباحثين الكرد والعرب والأجانب أولوا مسألة بارزان ودورها السياسي في التاريخ الكردي الحديث إهتماماً لافتاً، إلا أن الاعمال التي سطرها مؤرخان كرديان اثنان عن تاريخ البارزانيين وما ذاقه هؤلاء من عذابات قومية تظل موضع اهمية كثيرة: الأول؛ الكتيب الذي ألفه المؤرخ الكبير حسين حزني موكرياني، باللغة الكردية، الموسوم «الوقائع التاريخية في كردستان» سجل فيه مأساة نفي البارزانيين وسجنهم في مدن كردية وعراقية مختلفة في نهاية الثلاثينات الى منتصف الاربعينات من القرن العشرين. والثاني؛الكتاب الحالي الذي أعادت دار نشر آراس طبعه، والذي ألفه الشخصية الكردية الكبيرة معروف جياووك في الخمسينات باللغة العربية عن المآسي التي تعرض لها البارزانيون في الأعوام الثلاثة الأولى من العقد الثلاثيني من القرن الماضي.

والواقع أن الكتابين أعلاه، ومقداراً غير قليل من الدراسات والكتب، في مقدمها الكتاب الذي ألفه الزعيم الكردي مسعود بارزاني عن دور البارزانيين ورموزهم في الحركة التحررية والقومية الكردية تطرقت بإسهاب ودقة الى صفحات مختلفة من حياة العشيرة البارزانية وتاريخها وتطورها ودورها السياسي. مع هذا كله، تظل أهمية كتاب مثل «مأساة بارزان المظلومة» كبيرة لا لشيء سوى لقيمته التاريخية وكونه تسجيلاً واقعياً لمقطع من تاريخ الحركة السياسية والاجتماعية الكردية، قام

بتدوينه واغنائه رجل كردي متنور عاصر ذلك التاريخ وكان شاهداً عليه وتمتع بصلات حميمة مع البارزانيين.

كذلك، تظل الحاجة ملحة لإستطرادات أخرى في هذا الشأن، بما فيه بعض الإستطراد المتعلق بإعادة إلقاء الضوء على مقاطع وأحداث مهمة في تاريخ بارزان السياسي، إنطلاقاً من الحقيقة القائلة أن هذا التاريخ هو في جوهره وتفاصيله وتعقيداته جزء حيوي فاعل من تاريخ الحركة القومية الكردية.

***

إزدهرت المشيخة النقشبندية في بارزان وأطرافها في النصف الأول من القرن التاسع عشر على يد الشيخ عبدالسلام بارزاني الأول. وعلى رغم المسحة الصوفية البحتة التي اضفاها الشيخ على مشيخته، إلا أن صوفية البارزانيين تميزت منذ تلك البدايات بمضمون اجتماعي غني قام على مبادىء الدعوة الى إنصاف الفلاحين ورفع الجور الاقتصادي والمعيشي عنهم وإرخاء قبضة رؤساء العشائر عن أعناقهم. والواقع أن هذه الحال إنتهت في محصلتها النهائية الى قيام تحالف بين عدد من رؤساء العشائر في أطراف منطقة بارزان من جهة والدولة العثمانية من جهة ثانية. وكان العثمانيون يعتمدون في تلك الفترة على حلفائهم المحليين، رؤساء العشائر، في جمع الضرائب والأتاوات المفروضة على الفلاحين.

والواقع أن إهتمام العثمانيين بفرض سلطتهم على بارزان لم يقتصر على المنافع الاقتصادية والضريبية فحسب، بل تعدى ذلك الى فوائد سياسية وستراتيجية ايضاً. وكان مرد ذلك أن منطقة بارزان وأطرافها تمتعت بموقع جغرافي ستراتيجي في السفوح الغربية من جبال زاغروس، خصوصاً من جهة ميزتها الوسطية بين منطقتي سوران وبهدينان، وتشكيلها عقدة رئيسة من العقد الطوبوغرافية بين عقرة والموصل وآروميه وتبريز الايرانيتين وجنوب شرقي تركيا، وقربها من بوابة كيله شين الجبلية التي حازت تاريخياً ذا أهمية جغرافية غير قليلة من ناحية كونها معبراً تجارياً وممراً للجيوش والغزوات عبر سلسلة جبال زاگروس المنيعة. الى ذلك، إهتم العثمانيون بالسيطرة على بارزان لأنها تقع وسط عدد من العشائر الكردية الكبيرة كالمزوريين والزيباريين والبرادوستيين وعشائر أخرى.

في هذا الإطار، كان رفض البارزانيين الخضوع للدولة العثمانية وتأكيداتهم على تحسين ظروف عيش الفلاحين وتخفيف سطوة الدولة عنهم تهديداً واضحاً لنفوذ

العثمانيين في المنطقة خصوصاً بعد أن استقطبت المشيخة البارزانية أكثر تلك العشائر الى نطاقها الإجتماعي والصوفي.

لهذا كله، بدأ العثمانيون بالتضييق على شيوخ بارزان ومحاربتهم وتشويه أدوارهم، إضافة الى تأليب العشائر عليهم وتنفيذ سلسلة مروعة من عمليات القتل والتشريد والنفي ضدهم منذ عهد الشيخ عبدالسلام الأول. لكن اللافت للنظر أن القسوة التي مارستها الدولة العثمانية ضد البارزانيين لم تستطع أن توهن عزيمة شيوخ بارزان في الدعوة الى الإصلاح ورفع الغبن والتحرر. بل أن الجهود التي بدأها الشيخ عبدالسلام سرعان ما دخلت، مع اقتراب القرن التاسع عشر من نهايته، مرحلة تحولات سياسية جذرية كبيرة.

صحيح أن تلك التحولات اقتصرت في الشطر الزمني الأول على المضامين الاجتماعية والصوفية، وأن الجذور الأولى للتطلعات السياسية عند شيوخ بارزان ظهرت في زمن الشيخ محمد بارزاني الذي تعرض الى صنوف السجن والإقامة الجبرية والنفي نتيجة دعوته الى المساواة والتكافؤ الاجتماعي ورفع الغبن الضريبي والمعاناة اليومية عن كاهل الفلاحين والفقراء، لكن الصحيح ان التحول السياسي الكبير في مسار المشيخة حدث في مطالع القرن العشرين بعد أن تسلّم الشيخ عبدالسلام بارزاني الثاني مشيخة الصوفية النقشبندية في منطقة بارزان في ١٩٠٣.

قبل ذلك التاريخ، أي قبل بروز دور الشيخ عبدالسلام في الحركة القومية والسياسية الكردية، كانت منطقة بارزان وقريتها وارجاؤها نموذجاً واضحاً لحياة القمع والاضطهاد التي عاشها الكرد في ظل الدولة العثمانية. وتمثلت هذه الحياة التي حفلت بالمآسي والكوارث البشرية في الحملات العسكرية التي شنتها القوات العثمانية على أهالي بارزان بالتحالف والتعاون والتنسيق مع رؤساء عشائر المنطقة الذين أرعبهم تنامي نفوذ البارزانيين والتفاف الفلاحين حول دعواتهم الاجتماعية والاصلاحية. لكن بعد بروز دور الشيخ عبد السلام لم تعد بارزان نموذجاً للمظالم القومية فحسب، بل أصبحت ايضاً نموذجاً رائداً للمقاومة السياسية الكردية، ومصدراً ثراً لإغناء وتحفيز الحركة القومية الكردية المعاصرة. وفي هذا الخصوص، يمكن للباحث في الفترة الزمنية بين مستهل القرن العشرين وإندلاع الحرب العالمية الاولى، أن يلحظ عظمة الدور الذي لعبه الشيخ عبدالسلام في صياغة المشروع القومي الكردي الحديث. ولا أدل على هذه الأهمية من الإشارة الى أحد أبعاد هذا

الدور، المتمثل في أن شيوخ بارزان كانوا في هذا المقطع الزمني البالغ الدقة بمثابة حلقة الربط الستراتيجي بين أطراف وجماعات الحركة القومية الكردية، ما جعل من عشيرتهم حاضنة طبيعية لوحدة المشروع الكردي.

في هذا المنحى، تصح الإشارة الى الجولات والزيارات والإجتماعات المتكررة للشيخ عبدالسلام في مناطق بارزان وبهدينان وكردستان ايران. كذلك مبادرته الى عقد اجتماع واسع لعدد من رجال الدين ورؤساء العشائر في قرية بريفكا ورفعه مذكرة الى المسؤولين العثمانيين بإسم المجتمعين تضمنت مطالب قومية كردية واضحة. وتصح الإشارة الى تنسيقه وتعاونه مع السيد طه رئيس عشيرة نهري، إضافة الى تعاونه مع المتنورين الكرد في اسطنبول من اعضاء الجمعيات والمنظمات السياسية والاجتماعية التي راجت ومثلت إحدى أهم قنوات الحركة القومية الكردية في تلك الفترة. وفي هذا الصدد يشير عدد من الذين أرّخوا لهذه الفترة الزمنية، ومنهم المؤرخ العراقي صديق الدملوجي الذي عاصر الشيخ عبدالسلام والتقى به في مناسبات عدة آخرها ليلة إعدامه في الموصل في ١٩١٤، يشيرون الى أن تكية بارزان كانت تتلقى البيانات والمطبوعات التي اصدرتها المنظمات والجمعيات الكردية في اسطنبول.

واللافت للنظر أن تصاعد دور مشيخة بارزان في الميدان السياسي في بدايات القرن العشرين شكل مصدراً كبيراً لتفاقم المخاوف العثمانية. وكان الدافع الرئيس لهذه المخاوف النشاط الواسع الذي قام به الشيخ عبدالسلام من أجل لمّ شمل الشتات السياسي الكردي وتهيئة الارضية الملائمة أمام وحدته. وكان الشتات الكردي يتمثل آنذاك في عدد كبير، لكن ضعيف، من البؤر والمراكز و الجمعيات القومية الكردية في اسطنبول وأروميه والسليمانيه ديار بكر وخوي. وما زاد من المخاوف العثمانية في خصوص ذلك كله، أن الشيخ عبدالسلام بارزاني كان يدرك أن العالم مقبل على تطورات درامية هائلة وأن الصراعات الدولية تنذر بصدام دولي مسلح.

وأدرك الشيخ أن هذه التطورات تتطلب من الكرد أن يبحثوا عن حلفاء دوليين لهم وسط العواصف العاتية التي بدأت تلوح في الأفق، وأن يوحدوا صفوفهم ويتهيأوا لإستقبال التطورات العالمية الجديدة والتفاعل معها واستثمارها لصالح قضيتهم السياسية بشكل حيوي. وبهذا المفهوم، بادر الشيخ عبدالسلام الى زيارة

روسيا وإجتمع بمسؤولين روس بينهم مندوب عن القيصر وطلب دعم بلاده للقضية الكردية، وكان حدسه صحيحاً. إذ لم يمض أقل من عام على زيارته هذه حتى إندلعت الحرب العالمية الأولى وكانت كردستان إحدى أهم حلقات هذه الحرب.

لهذا كله لم يتردد العثمانيون وولاتهم القساة في ولاية الموصل من شن حملات دموية مكثفة ضد البارزانيين. ويحفظ التاريخ الكردي في هذا الصدد صفحات مضيئة خالدة مما لاقاه البارزانيون من مآس بشرية مفزعة نتيجة المظالم العثمانية وحملات التدمير التي استهدفت منطقة بارزان. ويحلو للكرد في العادة أن يذكروا بفخر لايضاهى عند أي إشارة الى أحداث هذه الفترة أن زعيمهم الخالد مصطفى بارزاني أودع سجناً عثمانياً مع والدته واقربائه وأبناء عشيرته وهو صبي. وأنه ذاق مرارة الألم القومي حين أعدم العثمانيون أخاه الأكبر الشيخ عبدالسلام وهو لا يزال صبياً.

من دون شك، هدفت حملات الدولة العثمانية ضد البارزانيين الى تفتيت عشيرتهم والحد من نفوذ شيوخها. لكن الأكيد أن الهدف الرئيسي لهذه الحملات تمثل في تمزيق الحركة القومية الكردية وشل قدرتها على النمو والصعود والتألق وذلك عن طريق تمزيق العشيرة البارزانية وتدمير حركتها وتطلعاتها السياسية والقومية وتشريد أبنائها وعوائلها. فالبارزانيون الذين بدأوا تاريخ عشيرتهم بالمرجعية الصوفية النقشبندية، أخذوا يتحولون في شكل متسارع وفي ظل زعامة الشيخ عبدالسلام بارزاني الثاني الى مرجعية سياسية وقومية مؤثرة تشع جاذبية وعنفواناً وعزيمة.

في ما بعد لم يعتر الزعامة البارزانية أي ضعف أو فتور أو خمود على رغم تعاظم حملات القمع والتشريد والآلام التي تعرض لها شيوخها وابناؤها بعد إعدام الشيخ عبدالسلام. ويمكن التذكير في هذا الصدد بعشرات المرات التي تعرضت فيها قرية بارزان الى التدمير والحرق والنهب على أيدي القوات العثمانية. أما الدليل الأوضح على مواصلة البارزانيين نهجهم السياسي والقومي الخلاق فتمثل في مبادرة الشيخ أحمد بارزاني الذي خلف شقيقه في المشيخة الصوفية في سنوات الحرب العالمية الأولى، الى إعادة تنظيم صفوف عشيرته وتقوية شوكتها ودورها السياسي والاجتماعي.

وفي هذا الشأن تروي مصادر ومراجع تاريخية عدة أن الشيخ أحمد نظم قوة مسلحة من مقاتليه في الفترة بين عامي ١٩١٧ و ١٩١٩ سلم قيادتها الى أخيه

الأصغر مصطفى بارزاني وأرسلها لنجدة الشيخ سعيد بيران في كردستان تركيا. كما أرسل قوة مماثلة للشيخ محمود الحفيد في السليمانية. وأسهم في مقاومة البريطانيين الذين تجاهلوا الحقوق القومية الكردية وبدأوا بمساعدة الدولة العراقية الحديثة في ضم كردستان الجنوبية «ولاية الموصل آنذاك» الى كيانها. والواقع أن الدور القومي للشيخ أحمد بارزاني تجلى في ميادين عدة منها حضه رؤساء العشائر الكرد وشيوخ الطرق الصوفية على مساندة انتفاضات الشيخ محمود في السليمانية. وتعاونه مع رؤساء عشائر كرد في كردستان ايران وتركيا من أجل تحريك الوضع الكردي وممارسة الضغوط على الإدارة البريطانية من أجل الإلتفات الى المظلومية الكردية. كذلك يمكن الإشارة الى سلسلة الإنتفاضات المسلحة التي قادها الشيخ أحمد ضد الدولة العراقية والقوات البريطانية في العراق منذ عام ١٩٢٧. يجدر ذكره أن الإنتفاضات التي قادها الشيخ أحمد كانت وسيعة ومؤثرة الى درجة أن القوات العراقية لم تفلح في مواجهتها بمفردها بل إضطرت الى طلب العون من الطائرات البريطانية في قصف منطقة بارزان وملاحقة البارزانيين.

ويذكر الزعيم الكردي مسعود بارزاني في كتابه أن القوات البارزانية استطاعت أن تسقط طائرة بريطانية وتأسر طياريها. وأنها قامت بتسليم الاسيرين الى الإدارة البريطانية رغم أن الطائرات البريطانية لم تخفف من موجة غاراتها الجوية ضد قرى بارزان.

ورغم أن الانتفاضات التي قادها الشيخ أحمد كانت غنية بمضامين وآفاق سياسية ثرة، وليس أقلها شأناً المضمون المتمثل في رفض الكرد الضمّ الى الدولة العراقية من دون ضمان حقوقهم القومية وحقهم في إختيار شكل وجودهم ضمن هذه الدولة، إلا أن هذه الإنتفاضات تميزت بخفوت خطابها السياسي على حساب تصاعد خطابها المسلح . والواقع أن الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة تعود الى استمرار الحملات العسكرية العراقية والبريطانية ضد بارزان وإنشغال الشيخ أحمد بالمقاومة العسكرية، ومن ثم تعرضه الى الإعتقالات المتكررة والنفي خصوصاً بعد عام ١٩٣٣. لكن مع هذا، ومع الخسائر الهائلة التي تعرض لها البارزانيون على مذبح النضال القومي الكردي، فإن الشيخ أحمد بارزاني لعب دوراً رئيسياً في تنشيط الحركة القومية الكردية واغناء مضامينها وحث الكرد وفئاتهم المختلفة على الإنخراط في العمل القومي الكردي. وفي هذا الشأن يتفق أغلب الباحثين المختصين

في التاريخ السياسي الكردي أن تضحيات البارزانيين وانتفاضاتهم ومظلوميتهم، خصوصاً مآسي نفيهم وسجنهم وإبعادهم القسري الى مدن العراق المختلفة، كانت بمثابة مصدر دفاق من مصادر الحركة القومية التحررية الكردية الحديثة.

***

عندما نتحدث عن كتاب جياووك، لابد من الإشارة الى النقص الملحوظ في معلوماته وتحليله للشأن الآشوري في العراق. والأرجح أنه إستقى المعطيات التي أوردها في هذا الكتاب عن الآشوريين من مصادر غير آشورية، أو متحاملة عليهم وعلى تطلعاتهم وآمالهم. كذلك قايس الحالة الآشورية من منظور كرهه الشخصي للبريطانيين إنطلاقاً من نظرة غير صحيحة وبعيدة عن الواقع مفادها أن الآشوريين والوا البريطانيين.

هذه الطريقة غير العملية في تناول المشكلة الآشورية وبحث إرتباطها بالمشكلة القومية الكردية في العراق، كثيراً ما أسهمت في إلحاق ضرر غير قليل بالعلاقات التاريخية الوطيدة بين الكورد والآشوريين. لهذا يظل من الضروري ملاحظة هذا النقص الفادح في كتاب جياووك على رغم الكمّ الكبير من المعلومات الدقيقة التي يضمها خصوصاً حول البارزانيين.

في خلاصة عامة، يصح القول أن الكتاب الذي ألفه معروف جياووك يضم ثغرات وهفوات ملحوظة. ويصح القول أيضاً أنه أحكم في بعض تسجيلاته معايير العاطفة القومية والتحليل البسيط، مسهباً في بعض الحالات في مواضيع قد لا تمت الى أصل موضوع الكتاب. لكن مع هذا كله، يظل الكتاب مهماً في كثير من تفصيلاته وتحليلاته. ومهماً في تدوينه الحيوي للأحداث التي رافقت نفي البارزانيين في زمن الشيخ أحمد بارزاني. كذلك مهماً في حديثه عن الانتفاضة التي قادها الزعيم الخالد مصطفى بارزاني في ١٩٤٣ - ١٩٤٥ والمشاركة التاريخية للبارزانيين في جمهورية مهاباد الكردية في ١٩٤٦، إضافة الى حديثه عن محطات ومحاور أخرى في سفر البارزانيين السياسي. كذلك تكمن أهمية هذا الكتاب وكتب أخرى تحدثت عن تاريخ العشيرة البارزانية في ردّه المباشر على الذين يريدون تشويه تاريخ البارزانيين بأكاذيب وإفتراءات ليس المراد منها سوى تشويه التاريخ الكردي.

المقدمة

احمد الله وهو مستغن حمداً لا حد له لما انعم به عليّ من نعم جزيلة ويسر لي الوقوف على شيء من الادب والكمال بقدر الحال وأصلي واسلم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه رافعي اعلام الهدى والعدالة ودافعي ظلام الوهم عن اولي النهى راجياً من الله عز وجل ان يوفقني على اتمام هذه الرسالة الصغيرة بعيدة عن كل غش ومس وان يهديني الى طريق الحق وصدق القول اللهم بإسمك البدء والختام اجعله بصيرة بواصر من يقرأه ويتقنه بعيداً عن الغفل والخطل يفقهه حق فقهه ويجنبه الزيغ والسفاهة.

اما بعد فاقول وانا المفتقر الى رحمة ربه وعفوه اني كنت قد جمعت في مذكراتي شيئاً كثيراً فيما يخص الأكراد الذين اتشرف بانتسابي اليهم وبالاخص أكراد جبال (زاگروس) وانا منهم واجتهدت في توحيد مذكراتي في رسالة واحدة باسم (تاريخ الكرد) حسب القول المشهور (ماحفظ فر وماكتب قر) غير انه سبقني المرحوم محمد امين زكي بك أحد وزراء العراق سابقاً واصدر كتابه (تاريخ الكرد وكردستان) كما ان المرحوم محمد علي عوني المترجم سابقا في البلاط المصري كتب مجموعة في الموضوع نفسه فاضطررت على ترك مسوداتي (في زنابيل) المهملات ووجهت قلمي الى الشطر الثاني من الوقائع الخاصة بأكراد العراق ولم اتجاوز عنهم الى الأكراد القاطنين في تركيا او ايران الا استطراداً وجمعت المتفرقات ووحدتها في شكل كتاب تركت طبعه للوقت.

اسباب الطبع

كان الكثير من البارزانيين يتصلون بي وبالاخص رئيسهم الشيخ أحمد البارزاني من سجونهم ومنفاهم وكنت كمن يتلظى على الجمر كلما وردني كتاب من احدهم لعلمي بمظلوميتهم وظلامتهم وكنت اراجع رؤساء الوزارات من وقت لآخر لاستعطفهم تارة شفهياً واحياناً بإرسالي كتب البارزانيين اليهم على حل مشكلتهم لافتا نظرهم الى ضرورة اسعاف استرحاماتهم والتوسط في

اصدار العفو عنهم واعادتهم الى اوطانهم نظير العشائر التي ثارت هنا وهناك كثورات الرميثة وسوق الشيوخ وبني ركاب والأكرع والسماوة والمدينة وغيرها من الثورات التي شمل رجالها وأفرادها العفو من وقت لآخر ورجعوا الى ديارهم مع ان السائق والسبب الحقيقي لثورات الفرات كانت تختلف كل الاختلاف عن حركة البارزانيين، لأن الأولى كانت ضد الحكومة مباشرة والثانية دفاعا عَن الأوطان الموروثة، والتي تضم في صدرها قبور الآباء والأجداد والأولياء والمشايخ، كما سيجيء تفصيل ذلك فيما بعد. ورغم جميع محاولاتي لم اجد مساعدة من اصحاب الفخامة ولم أحظ بجواب منهم:

لعمرك البرُّ شيءٌ هين * وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لين

سوى واحد منهم وهو فخامة السيد نوري السعيد، حيث افهمني نواياه كما سيأتي في موضعه. ولما أثار السيد جمال بابان في الآونة الاخيرة، وهو وزير العدلية قضية بارزان في الجرائد المحلية وبين حلولاً ثلاثة (١) اعادتهم الى اماكنهم (٢) إسكانهم في أراضي (بتوين) من ملحقات رانيه (٣) او اسكانهم في قضاء(مخمور) مع توزيع المبالغ المرصدة باسمهم عليهم وقدرها (٢٠،٠٠٠) ديناراً، أو كما قيل (١٠٠،٠٠٠) ديناراً. وحيث ان الشك والريب استوليا عليّ من هذه الحلول وتوزيع المبالغ ومن تدخل وزير مهم في الوزارة يعرف ويرجح دخول البيوت من ابوابها على الدخول من جدرانها، رأيت من واجبي ان أبين ملاحظاتي في الحل الحقيقي على اعمدة الجرائد وكان ذلك، حيث نشرت جريدة (صوت الجمهور) ما كتبته وسطرته في اعداد متتالية أستعرضت فيها قضية بارزان بصورة موجزة اولاً، ثم بينت بأن الحل الصحيح واحد لاغيره، وهو ارجاع البارزانيين الى جبالهم ووديانهم كالعشائر التي ثارت في وجه الحكومة واعيدت الى اماكنها بلا قيد او شرط لأنه ليس في استطاعة البارزانيين الإقامة في منطقة (بتوين) الموبوءة بالامراض والمتنازع عليها بين العشائر المقيمة هناك. كما أنهم لن يتحملوا شدة حرارة (مخمور) المحرقة في الصيف والمحرومة من الماء عدا عدد من الآبار المجة والمالحة. ولهذا فإن اعادتهم الى اوطانهم ارجح واشرف للحكومة من حيث تطبيق العدل والمساواة على الرعية. ومن ثم توزيع المبالغ المرصودة المذكورة اعلاه عليهم

بواسطة هيئة قوامها رؤساء العشائر المجاورة ذات الايدي النظيفة والضمائر العفيفة. فإن لم تعمل الوزارة بذلك فإن على الوزير المقترح (جمال بابان) ان يستقيل من الوزارة دفاعا عن شرف اقتراحه واحتجاجا على الوزارة التي اغمضت العين وتجاهلت الموضوع واعتبرته اعقد من ذنب الضب ولطمت الاقتراحات بالسكوت وانزلت الستار عليها كما ان الوزير نفسه أخفى رأسه وسد فاه الامر الذي دل على ان ماصدر منه كان لغرض التسويف والتخدير فقررت نشر ما جمعته من الوثائق والدلائل حول مغدورية البارزانيين واسباب وقوفهم في وجه الحكومة والعلل التي اوجبت اصرار المسؤولين على سوق الجيش اولا وآخراً والتنكيل بهم وطردهم من ديارهم ومن ثم التصعب السافر في اعادتهم اليها، في رسالة خاصة غير اني اضطررت الى السفر الى شقلاوة للاصطياف الامر الذي أخر نشرها وعند وصولي شقلاوة بدأت املي مندرجات المسودات على السيد (بشير چيچو) احد اقاربي.

وبعد رجوعي الى بغداد اعدت النظر فيها لأهيئها للطبع، فوجدت نفسي مضطراً الى اختصارها بصورة تضمن المحافظة على النقاط الاصلية دون فقدان الجوهر، وذلك تسهيلا لنفقات الطبع وإحاطة القارىء علماً بمندرجاتها بسهولة. فجاءت الرسالة بشكلها الحاضر وهي تنبئك بالحوادث المؤلمة والاوضاع المؤسفة واحوال الأصفياء من الأخيار والمسيئين من الخونة والأشرار..

من انا؟

ابدأ بتعريف نفسي للقاريء الكريم ليكون على بينة من هوية الكاتب وعلاقته بموضوع هذه الرسالة. فانا كردي من عشيرة (بالهكى) ولدت كردياً من ام واب كرديين وكانت امي تتباهى بكرديتها. وقد تعلمت لغة آبائي وعرفت مجد اجدادي من قصصها وحكاياتها المثيرة. وترعرعت تحت تربية ابي الفقيه الصالح العامل وشببت مؤمناً لاتزعزعه اقوال الفلاسفة او الدهريين، وبقيت متمسكاً بحبل الدين الحنيف على مذهب الإمام محمد ابن ادريس الشهير بالشافعي من شبي الى دبي. ولهذا يعلم الله – عالم السر والعلانية – اني لم افرق بين الناس من اي عنصر او جنس كانوا مع محبتي الزائدة ووداي الخالص لمن تمسك بالعروة الوثقى. ولم امدح او اقدح لغرض او غيظ

وقد ساعدت المغدور والمظلوم بقدر امكاني. وانا مرتاح الضمير لكل ماجئت به طوال السنين التي قضيتها في ضنك العيش ومحن الدنيا، مستهدفاً خدمة الامة بدرجة انني عندما كنت ارى ظلماً لا أتمكن معه من ليِّ يد الظالم وكبح جماحه، اسارع الى الإنزواء في عقر داري، كما نبهني الى ذلك (درويش) بقوله (سلكت الانزواء والدروشة لأتجنب الظلم واتباعد الظالمين ولا ارى دموع المظلومين أو اسمع انين المكلومين وبكاء الثكلى والأثكل ويتضاعف تأثري وحزني اذا ماوقع الظلم على احد اقاربي او أفراد عشيرتي). وقد اثرت في نصيحته ورايه رغم انها تخالف احكام الشرع (إذ ليس للإنسان إلاّ ماسعى وأن سعيه سوف يرى). وكما جاء في القول المأثور (إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كانك تموت غداً).

ان اطفاء النفس وإماتتها من اصول وطرق التصوف، ولكن التقشف غير ممدوح بل ممنوع ولهذا يقول الشاعر:

ليس التصوفُ لبسَ الصوف ترقعه * ولا بكاؤك ان تمن المفنونا[1]

إنّ التصوف ان تصفو بلا كدر * وتتبع الشرع والقرآن والدينا

وزد على هذا ابتلاء من مثلي بإعالة عشيرة كبيرة من النساء والاطفال واقاربي الاقربين وان قال الشاعر:

الاقارب كالعقارب فاجتنبهم * كذا العم والخال[2]

كم عم اتاك الهم منه * وكم خال عن الخيرات خال

لا يتمكن من البقاء منزوياً مع وجود قدرة وطاقة على العمل. ويا حبذا لو كنت حراً وطليقاً كالدرويش المذكور ولم اكن اسيراً للأطفال ومحكوماً بإعالتهم. زد على هذا عدم امكاني تحمل رشاش عتاب الأصدقاء والمحبين هما اللذان الزماني على ترك الإنزواء وضرورة الخدمة، مع علمي بأن الخدمة لا يرجى منها نفع مادي او معنوي، اذا لم يحكم البلاد رجال مجربون ذوو خبرة وعدل ومروءة، واذا ماتحكم فيها رجال مذبذبون اكثرهم غلاظ الطبيعة جبلوا

(١) في هذا العجز من البيت إقواء لم نقف على وجه لإصلاحه (الناشرون).

(٢) هذان البيتان يفتقران الى الوزن ولم نعثر على أصول لهما فتركناهما كما أثبتهما المؤلف (الناشرون).

على الغباوة والحقد، فهنا تظهر طامة الذل والانهيار. لأن الخدمة مع الصدق والعفة وهذه تتعارض وأهواءهم وتتصادم بطمعهم وجشعهم!

وما قادها للخير الا مجرب – عليم باقبال الامور كريمها

وما كل ذي لب يعاش بفضله – ولكن لتدبير الامور حكيمها

وما سقطت يوما من الدهر أمة – الى الذل إلا أن يسود ذميمها

ولهذا نرى بين آونة واخرى هبوب رياح التألم والتظلم من اعمال الرجال، وسفينة الدولة تضربها العواصف وترجرجها بدرجة توشك على الغرق ولا تجد لها مرسى الاستقرار وهي:

كريشة في مهب الريح طائرة – لا تستقر على حال من القلق

وتشهد على هذا الحال مذاكرات المجلس النيابي وهياج المعارضين وآراؤهم المحقة وخروج الوزراء من المزلقة بصعوبة ظاهرة. اما الكذب والتدليس وعدم الوفاء، فمن براعة السياسة عند هؤلاء الأجلاف – نعوذ بالله، ولهذا تراهم يتوسلون بوسائل شتى للوصول الى مقاصدهم، وهم ينسون بأن ما حاكوه عبارة عن خيوط العنكبوت. واذا ما قلت لهم ان النجاة في إتحاد الدول الإسلامية تجاه ضغط تيار الغربيين، قالوا نحن قوميون وإتهموك بالرجعية، فاذا انتسبت الى قومك مثلهم ردوا عليك ببهتان عظيم باسنادهم اليك التفرقة والانفصال، او بينت لهم الطريق السوي ولزوم التزام جانب العدالة والمساواة اتهموك بالشيوعية. ولا اخفي على القاريء اني شخصياً لم يصبني من الاذى الا على يد بعض عديمي الوفاء وذلك عندما أرتأي شيئا من باب النصيحة، كترك التعصب والبغضاء الذي يستوجب النقمة والعداوة وهو حرام شرعاً ومضر عرفا. اما اذا قلت لهم ان دعائم الحرية ثلاثة هي الاخلاق والاتفاق والثقافة ومن لم تجتمع فيه هذه الثلاثة لا يستحق الحياة مكرماً، وإن المغامرة والإدعاء الفارغ نتيجتها الفشل والخسران بلا ريب، وذلك بالنظر الى ما عليه الدول من القوة والمنعة، قالوا أنت تستند الى سياسة قديمة ذهبت مع شيوخها.

ورغم ايذائهم لي كنت أتجلد عندما ارى ان احداً منهم سيصيبه غدر وظلم فاساق قسراً الى الدفاع عنه. ومن البديهي أن عملي هذا لا يستوجب العتاب لأن الدفاع عن المظلوم والسعي في رفع الظلم عنه فرض على كل انسان

ومسلم، ولاشك من ان الذين يضرمون نار الظلم هم احطابها في الدنيا والآخرة عاجلاً او آجلاً، لأنه ان كان للظالم يوم، فللمظلوم أيام ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

التعارف والمحبة

ان الله عز وجل أمرنا ان نعامل المسيء معاملة منصفة، وبين لنا أننا خلقنا سواسية من تراب واحد احراراً متساوين، حيث قال (إنه خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا)، وكذلك قال تعالى (والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا)، فالجميع لديه متساوون لاغرور ولا كبر ولا ضعف ولا صغر.

وامرنا ايضاً بالتعارف والمودة لتحقيق المثل العليا، بغية ادراك السعادة، اذ قال جل جلاله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير).

وقال (صلى الله عليه وسلم) (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه) وفي هذا اشارة الى الإخاء وان لا تفاضل ولاتفاخر بين شعب وآخر الا بالتقى والعدل.

كذلك فضل الله الانسان على سائر المخلوقات بالعقل والادراك، وبهذه يتم التآلف ويحصل التقارب بين الأفراد والاسر والجماعات ويشرق نور العدل ويكسف ظلام الشر، لأن الله مع الذين إتقوا وأصلحوا بين الناس. والمصلح هو الذي يسعى الى الخير، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لكنا مع بالغ الأسف نرى ان الجشع في هذا الزمن يسوق الكثيرين الى هاوية الارتكاب والحرام، ويجعلهم على نقيض ماهو مطلوب منهم من دماثة الخلق والشعور بالانسانية، بحيث انهم لم يؤثر فيهم نور العلم والمعرفة، بل استحالوا بعلمهم الى أبالسة و حيوانات مفترسة تنهش وتأكل لحم أخيها، بل وتآخذ ماتريد وتغصب ماتشتهي بأسماء ما انزل الله بها من سلطان، من مال وعرض وكرامة وحرية، دون ان يبالوا بالحقوق والشرائع التي تأمر بالاستقامة، والصدق في القول والعمل والوفاء بالعهد والامر بالعدل ونبذ الغيبة والنميمة والى غير ذلك من الحث والمنع، كما نصت عليه الآيات التالية (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب

ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً)، (انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين اخويكم وإتقوا الله لعلكم ترحمون)، (فمن عفا واصلح فأجره على الله) (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)، (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)، (واذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل ولا تُلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون فماذا بعد الحق إلا الضلال). هذا قليل من كثير وجاء في كتب الاخلاق ان الطبع مخلوق مع روح صاحبه لا يفارقه الا بعد الموت!

اذا كان الطباع طباع سوء – فلا ادب يفيد ولا اديب

فالفوارق الموجودة في طبيعة وخلق امة وأمة اخرى هي نتيجة لهذا القول مع مؤثرات محلية وطبيعية وتربوية، ولهذا نرى ان ابن الجبل غير ابن السهل بمزاجه واخلاقه وشجاعته، ولكل واحد منهم طرقٌ في تطبيق العدالة ومقاومة الظلم والغدر، وبالاخص الغدر عند من استلذ بالحكم والسيطرة على بلاد الناس بأسماء وعناوين مختلفة. وفي ظل هذا الحكم الجائر المكشوف يهرول الظالم على جماجم المظلومين مستبداً في رأيه مختلقا شتى الاكاذيب والبدع للوصول الى مآربه السافلة ، بسحق الروح الوطنية وجلب ضعفاء العقول والنفوس، او من يبيع وطنه وامته لحفنة من الدراهم، ويكون آلة الشرور والتفرقة بين احرار الناس على قاعدة (فرق تسد). وجعل هؤلاء المنكودي الحظ وفاقدي الضمير (عدو الله وعدوهم) اولياء لهم يلقون اليهم المودة والخدمة البالغة وهم في ضلال مبين، اذ اشتروا الضلالة بغمط حقوق امتهم وذلة قومهم، فما ربحت تجارتهم اذ كسبهم في الدنيا الاهانة والتحقير ومثواهم في الاخرة جهنم وبئس المصير..

مروق الدول

ليس بخاف ان الدول العاتية حين تتصادم مصالحها ومنافعها بحقوق الدول الضعيفة او الصغيرة، تختلق قواعد غاشمة كحق الاستعمار والتمدين وحق التوسع. وتروح تمعن في طريقها هذا حتى تفرض سيطرتها على تلك الدول فتسلبها خيراتها الامر الذي يضطر معه سكان البلدان المغصوبة الى نفض هذا

الحمل الثقيل من على اكتافهم بالسعي والنضال لاستعادة حرياتهم. فعند هذا تثور ثارة المغتصب فيحاول بالاراجيف والتخرصات التي يسندها الى طلائع القائمين بالحركة الوطنية تثبيت اقدامه في اوطانهم، كاتهامه اياهم بالمباديء الهدامة او بقلب نظام الحكم او بإغتصاب السلطة. وكم من ابطال راحوا ضحية هذه التهم الكاذبة بشواهد كثيرة لا تعد ولا تحصى، ناهيك مايقوم به حكام الإنكليز في (نيروبي) تجاه قبيلة صغيرة مثل (ماو ماو)[٣] المناضلة من اجل حرياتها ومحصولاتها التي تنهبها الايدي المحتكرة. لكن انكلترا المتمدنة مجدة بقذائفها وجنودها وطياراتها وذهبها الذي تبذله للخونة، أفناءً لهذه العشيرة التي يحارب ابناؤها بالرماح والاقواس دفاعا عن وطنهم الدامي.

وهذه فرنسا منبع الحرية وشمس حياتها ماتصنعه وتعمله في تونس والجزائر وفاس والهند الصينية من ارهاب وقتل وتعذيب مالم تعمله اي دولة ظالمة من قبل. وتلك تركيا الجديدة التي نشأت على جماجم وجثث الأكراد خرقت قواعد الانسانية وقتلت وشنقت من الأكراد مالا يقع تحت حصر، بتهم كاذبة مختلقة ثم طبقت بحقهم قانون التهجير بلا مروءة أو انصاف مع انه لولا فرسان الأكراد في حروب تركيا مع اليونان والنساطرة في جهات قارص وهكاري، لكانت تركيا الآن في خبر كان. لأن الجيش التركي خرج من حرب الروس والإنكليز منهوك القوى ومشتت الفلول هنا وهناك، والناس في قنوط ويأس عظيمين يبغون النجاة والحياة باية صورة وفي ظل أي دولة كانت. ومما يؤيد قولي هذا هو ما جاء في تقرير هيئة أركان حرب الجيش الرابع الذي تضمن قدوم ٤٠٠٫٠٠٠ خيال كردي الى ميادين الحرب مباغتين الجيش اليوناني من الخلف وآسرين هيئة أركان حربها وغانمين أوراقها وخرائطها، الامر الذي أدى الى تقهقر الجيش اليوناني وانهزامه بصورة مريعة. فماذا كانت مكافأة الأكراد ياترى؟؟ كان الصعود عى المشانق والتهجير والاقامة الجبرية في أماكن نائية على الحدود الغربية.

(٣) إلتبس على المؤلف الأمر فالماوماو ليس إسم قبيلة بل هو إسم حركة ثورية ضد البريطانيين (الناشرون).

وماذا كان موقف انكلترا المتشدقة آنذاك بحماية الامم الضعيفة، أتراها تطلب من تركيا الوقوف عند حدها وترك المجازر التي تأنف منها حتى الوحوش الضارية؟؟ لا لأن أساس سياستها الضحك على ذقون الاقوام المغلوبة والسعي لتفكيك العرى بينها والعمل على امحائها وفق خطط مرسومة، كما تم لها ذلك عند خلق دولة لليهود في فلسطين من الذين لفظتهم الارض من ديارهم.

هذا فضلا عن ان أهدافهم في تركيا كانت تستلزم آنذاك إغماض العين وسد الآذان. أما ايران فلم تكن أقل ظلماً من تركيا وبالاخص في عهد وزارة الثعلب «قوام السلطنة»، اذ أمر بشنق القاضي محمد واخوانه وأقاربه ونفي عوائلهم الى أماكن بعيدة بعد مصادرة أموالهم رغم جواب قوام السلطنة المطمئن لبرقية القاضي محمد المعلنة اخلاصه لحكومة طهران.

واما عندنا في العراق، فقد وقعت حوادث كثيرة اثارتها أياد أجنبية بالاخص منها قضية بارزان سأعرضها مفصلا في الفصول التالية بكل صدق وأمانة ومن مثلي مضى عمره الطويل.. في ضنك العيش والجدال والخدمة يرى من واجبه الوطني ان يقول الحق ولو كان على نفسه. اني لا أدعي العصمة وقد أخطيء في نقل بعض الاخبار من بعضهم دون تعمد او ابين أمراً بغالب الظن لأن الظن الغالب يشير الى اليقين، وفي كلا الحالين ليس علي جناح ابداً كما جاء في القرآن الكريم (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم) والله عز وجل لا يؤاخذني ان نسيت أو اخطأت ويغفر لي برحمته الواسعة.

من هم الأكراد

لا يسعني الحال او المجال لتحرير تاريخ الأكراد في هذا الكتيب وهناك تاريخ (الكرد وكردستان) للمرحوم امين زكي بگ. مع هذا رجحت عرض خلاصة موجزة من تاريخ الأكراد للانسجام وحصول الإرتباط مع هذه الرسالة وهي (قضية بارزان). فاقول ان دسائس السياسة والمنافع الخاصة اغرت الكثيرين من مؤرخي العرب والعجم والاتراك على التباعد عن تبيان حقيقة اصل الأكراد. فكل واحد منهم كان يجلب اليه هذا القوم الجبلي المتصف

بالشجاعة بحجج لااساس لها من الصحة، فكان الوصف والتعليل مغالطة لا غير ان كل من تجرد عن التعصب وراجع اقوال القدماء والكتب السماوية والاثار التي وجدت في كهوف جبال كردستان سواء اكانت مكتوبة ام غير مكتوبة، يظهر له بجلاء ان الكرد هم قوم من عنصر واحد تجمعهم لغة واحدة وانهم على شيء عظيم من الشجاعة والبسالة بدليل ماجاء في الآية الكريمة التالية:

(ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون) قال المفسرون ان القوم المشار اليهم في هذه الآية هم الأكراد. والأكراد (آريون) ومعنى (الكرد) شجاع وقوي وجريء وربما كان اسم جدهم الاول (كرد) ولا ريب في ان الأكراد منذ بداية خلقتهم وظهورهم وجدوا انفسهم في اعالي جبال (زاگروس) و(الوند) و(ارارات) و(طوروس) ووديانها وكهوفها. إن كلمة (زاگروس) مكونة من كلمتين كرديتين (زاگ) اي اموال ومواش (وروس) اي حارس ومحافظ. وفي الحقيقة ان جبالهم حافظت على اموالهم وارواحهم كلما واهمهم عدو من الخارج. إن وطن الأكراد كان محاطاً لوطن (الأرمن) الذين ذكروا الأكراد في كتبهم مراراً وباسماء متقاربة مثل (كاردو) (كاردوخي) (غوردي) (كارداك) (كارداوية) (كاردوئين) (كاردوش) و(كاردوخوى) (كاردوك) (و كاردوميخ). وان كلمة (خوى) اداة جمع ونسبة في لغة الأرمن و(ميخ) عند الگرج. وكان مركز الكرد في قرية الثمانين او ثمانين قرية التي انشأت بعد رسو سفينة نوح على جبل (جودي) او (كودي - كوني، كوردي). وقد جاء في لغه الاشوريين ان كلمة (كاردو) بمعنى باسل وقوي و(كارادو) بمعنى القوة والشجاعة وما ذلك الا لوقوفهم امام المهاجمين وذودهم عن اوطانهم بشجاعة خارقة. وذكر القائد والمؤرخ اليوناني (زينوفون) في كتابه (انا بازيس) اسم الأكراد حيث قال: عند عودتنا مع العشرة آلاف جندي من ابواب بابل ٤٠١ سنة ق .م الى الوطن عن طريق دجلة اعترضنا قوم يدعون (كوردوش) او (كوردوخ) وضايقونا كثيراً من كل الجهات برمي الاحجار الثقيلة علينا والسهام الثاقبة وحيث اننا كنا نجهل الطريق تهنا في المفاوز الوعرة وأخيرا تمكنا من اسر البعض منهم الا انهم رجحوا الموت على ارائتهم الطريق فقتلنا بعضهم بالسيف وبعضهم برمينا اياهم من فوق الجبال وما كانوا يهابون الموت

او يخشون ضربات السيوف وهم مستقلون غير تابعين الى الملك (أحشويرش) اي (اردشير كان) ملك ايران. فيظهر من هذا ان الأكراد كانوا مستقلين في جبالهم منذ آلاف السنين وان الدلائل والوثائق التي عثر عليها علماء الآثار تؤيد كون الكرد شوهدوا في اوطانهم الحالية في العصور الغابرة، اي قبل خروج النبي موسى من مصر بالآف السنين. ومن هذه الوثائق والأسانيد لوحة وجدت في (الآغاس) (من المدن السومرية) مكتوبة في عهد الملك (آزاد) سنة ٢٤٠٠ق. م تتضمن بأن عشيرة (كاردوش) تسكن في الجبال، وكذلك العثور على لوحتين يرجع تاريخهما الى ماقبل ٢٠٠٠ق . م وجدت عليهما كتابة مفادها ان هناك اقليما يدعى (كارداكا) بجوار أهالي (سو) الذين يسكنون في جنوب بحيرة (وان).

وجاء في تاريخ الاشوريين ان (تجلات بلاسر) الاول ملك آشور سنة ١٠٩٨ الى ١٠٦٨ ق. م حارب قوم (كوتي) في جبال (آزو)، وجاء في كتب الأرمن ان (ديكران الثاني) ملك ارمينيا استولى على بلاد (كوردوئين) وقتل مليكهم المسمى (ازاد بيونوس). وكان استيلاء الأرمن على مملكة (الكوردوئيين) اسمياً، لأن الأكراد بعدها بقليل استعادوا حريتهم واستقلالهم. وكذلك كتب (دارا) الاول ملك الفرس بثلاث لغات (الفارسية، الآشورية، الإيلامية) اخبار انتصاراته على عشيرة (اسكاريتا) الكردية والمتوطنة في اربيل وأسره رئيس العشيرة واسمه (جتران تاغما) مع ثمانية من مقدميها، وقتله اياهم جميعا مع نقش صورهم وصورته على صخر (بيستون) قرب مدينة (زهاو). وجاء في التاريخ ان حدود الكرد القديمة هي شمال بحيرة (وان) وغرب (وادي خابور) وشرق (كركوك - آربخا) وفي الجنوب (بابل).

ان كردستان محصورة بين ٣٢° وبين ٤٠° من العرض الشمالي وبين ٣٧° و٤٦° من الطول الشرقي بالنسبة الى غرينتش في انكلترا، وتبدأ حدود الوطن الكردي القديم والحديث شمالا من نهر (آراس) حاضنة بحيرتي (اورميا و وان)، وتتصل بحدود أرمينيا القديمة من الغرب وما وراء (اكباتان) أي همدان عاصمة ميديا الكردية من الشرق وتنزل حتى خليج البصرة عند (آبادان) أي عبادان في الجنوب. وتجري في هذه المنطقة انهار متعددة منها: (الزاب الكبير

والصغير) ونهر (تيكه له) أي دجلة والفرات و(باطمان) و(بوتان) و(زلم) و(سيروان) و(الوند) و(كارون) وغيرها. ومعنى (تيكه له) سريع في اللغة الزندية الكردية وهي تقابل (تيز) في الكرمانجية.

ان قسماً من عشائر الكرد تباعدت عن اوطانها لأسباب عديدة منها:

١ - البحث عن مراع جديدة وأراض غير متنازع عليها.

٢ - الابتعاد عن ظلم المهاجمين كـ(هولاكو) و(تيمور لنگ).

٣ - تهجيرهم من قبل بعض الملوك، كما حدث في زمن الشاه (اسماعيل الصفوي) وأخلافه وفي زمن (القاجاريين) مراراً.

اما اشهر المدن الكردية القديمة فهي سايس واستالكاو بكنياكا (فينك) الموجودة حالياً على شاطيء دجلة. ومدن الكوردوئيين هي قرى الثمانين (كوردي - فيروز - شابور) في الضفة اليسرى مقابل مدينة (بازابادا)[٤] الواقعة في الضفة اليمنى من دجلة (وزهاو) و(زاموا) أي (شارزور)، وسيحور أي القنطرة وهلمان أي حلوان وساسرد واربيلا وتوس پاس (وان) ونايري وقرميس (كارماشان) واكباتان (همدان) ومدينة لاجان عاصمة (مكوريان) وهي مسقط رأس (زردشت) صاحب كتاب (زندو آويستا) وهو قانون وشريعة مسطور بلغة (آويستا) الكردية. وفيه يدعو الناس الى عبادة إله واحد وعمل الخير واحترام النار وهرمز (آهورا مازاد) ملك الخير والرجاء من (أهريمن) أي الشيطان ملك الشر ليدفع شره عنهم.

اما اهم الجبال المتشعبة من (زاگروس) النازل من جبل آرارات فهي:

روست وپيرس وشيروان وسەفين. وقنديل وپيرەمەگرون وهەورامان وألوند وپشتكوه.

اما اهم الانهار فهي؛ نهر تيكه له (دجلة) وروافده باطمان وبوتان والزابان وزلم وسيروان ونهر اربخا اي (خاسّه) كركوك والوند وكرخه وكارون وآراس (ومروهات - مراد) من فره هات أي (الفرات).

(٤) بازبدا أي بيت زبدى (الناشرون).

ويبلغ مجموع نفوس الأكراد في العالم ٨ر١٥٠ر٠٠٠ وقال بعضهم انه يزيد على العشرة ملايين نسمة.

اما اللغة الكردية فهي لغة مستقلة لها ميزاتها الخاصة وتطوراتها وليس لها علاقة باية لغة اخرى. وهي تنقسم الى قسمين كبيرين «١» لغة الكرمانج «٢» لغة الكرد. ورغم تنوع اللهجات فيها وكثرتها فانها تتحد في النقطة الاصلية نظير اتحاد اللهجات العربية برجوعها الى لغة القرآن الكريم لغة العدنانيين.

اما حياة الأكراد الاجتماعية

فهي بين العشائر تتصف باطاعة الأكراد رؤساءهم ومشايخهم طاعة صادقة، وبالاخص للملك العادل. وهم ينقسمون الى طبقات: طبقة العلماء بما فيها الفقهاء وارباب الفن والحكمة، وطبقة اصحاب الاملاك والزراع، واخيراً طبقة التجار واصحاب الحرف والمهن على اختلاف انواعهم. والكرد يصنعون اسلحتهم ومفروشاتهم وملابسهم بايديهم، وقد اعتادوا الاستيطان والاستقرار اذا ما وجدوا العدل والنظام مخيمين على ربوعهم.

والكردي رجل كريم الطباع بشوش طيب القلب شديد الغيرة على شرفه يراعي الحقوق ويرعاها ويستهون الموت من اجل حريته وكرامته. وتتمتع النساء بحرية بريئة فهن سافرات غير محجبات يدبرن شؤون المنزل ويحاربن بجنب الرجل عند اقتضاء الحال. والكردي يحب الموسيقى والرقص منفرداً أو مجتمعاً مع النساء ويسمى هذا الرقص (رەشبەلّەک) أي «بالو» كما يسميه الغرب.

معتقداتهم

كان الكردي في حياته الابتدائية يعبد الحادثات الطبيعية ((كالزوبعة والطوفان والرعد والصاعقة والمطر والسيل وكذلك الحيوانات المفترسة والسامة خوفاً من بطشها. ثم عبد هياكل الحيوانات الطبيعية أي (غير المنحوتة) والاشجار والشمس والقمر والنجوم. ولما آمن بوجود صانع لهذه الكائنات تصور له اشكالا عجيبة وغريبة فصنع اصناماً اعتبرها آلهة.

كذلك عبد الارواح لاعتقاده بانتقالها الى اجساد جديدة، مثلا عندما كان يرى ابنه أو احد أقاربه يشبه والده يقول انتقل روح ابي الى جسم هذا. وبالاخير ترك هذه الاصنام والعقائد وآمن بنوح النبي وابراهيم وموسى وزردشت الذي جاء قبل عيسى بستمائة سنة. وعندما جاء السيد المسيح «عيسى» وانتشر الحواريون تنصر قسم من الأكراد. ثم بعد بزوغ شمس الهدى في ربوع الحجاز، سافر بعض علماء الأكراد الى المدينة «يثرب» وكان اشهرهم «كابان» وابنه «ميمون» وبايعوا الرسول القائل لانبي بعدي وانا رسول الله للبشر جميعاً. ورجع هؤلاء الى بلادهم مبشرين ودخل الكثير من اتباعهم في الديانة الإسلامية. وفي زمن الخليفة عمر الفاروق أي اثناء الفتوحات الإسلامية اسلم الكرد جميعهم بمعاهدة شريفة باستثناء بعض العشائر المتهودة أو المتنصرة. ولقد خدم الأكراد الإسلام خدمة صادقة وجاهدوا شرقا وغربا وحروب «صلاح الدين الايوبي» مع الصليبيين واسترداده البلاد المقدسة خير شاهد عى نضالهم. واما خدمات علماء وفقهاء الأكراد فثابتة بآثارهم الساطعة والمنتقلة الينا من كتب فقهية وتوحيدية وفلسفية وادبية وتاريخية وغيرها لاتعد ولاتحصى.

ان بعضهم اعتبر الأكراد من منظومة زاگروس القوقازية وغيرهم قال أنهم من منظومة «آرية - هندو اوروبية» فلا يهمنا هذا القول أو ذاك، لأن الأكراد وجدوا انفسهم في جبال زاگروس وامها آرارات امة مستقلة لها لغتها وعنعناتها وقوميتها منذ العصور الغابرة حتى يومنا هذا. وقد اسست دولا كبيرة وامارات مستقلة نذكر منها مايلي:

١ -إيلام: تاسست في مدينة «شوش».

٢ - لوللو: تأسست في مدينة «زهاو» وكان مليكها الاول يدعى «ايماش كوش» وفي عهد مليكها «لاس راو» سنة ٢٥٣٠ ق .م هجم عليها «سارجون» ملك اكد ثم في سنة ٢٥٠٠ ق .م خلف سارجون الملك «نارام سين» فوقعت محاربات عظيمة بين اكد ولوللو.

٣ - كوتي: وكان مليكها الاول «اتساتوم» سنة ٣١٠٠ ق. م وقد حاربت السومريين وتغلبت عليهم واخيراً اندمجت مع حكومة «لوللو».

٤ – كاس «كوش»: وهذه تأسست سنة ١٧٦٠ لغاية ١٧٤٦ ق .م بقيادة مليكها «كاندش» وهجمت على بابل واستولت عليها. ثم في زمن مليكها «آلوم» فتحت سومر واشتهرت باسم «كاردونياش» وحكمت بلاد الفرات مدة طويلة والى هذه الامارة ينتسب (اللور) أو (الفيلية).

٥ – ميتاني «سوباري = سوبارتو»: وهذه حكمت من الفرات الاعلى حتى جهات كركوك وجاء اسمها في التوراة «آرام ناهارهم» ومليكها كان يدعى «توشرانا» حيث وجدت له كتابات عديدة في كركوك.

٦ – خالدي: حكمت من جهة «وان» وكان ملكها الاول «ساردويس آن آري» حاربت الآشوريين مرارا والآثار التي وجدت في كيلەشين تثبت عظم فتوحات ملكهم «ايسبونس» وميناوس[٥].

٧ – نايري: وهي تمثل جميع الأكراد الذين حاربوا الاشوريين مراراً وتكرارا وقد دامت الحرب بينهما حتى سنة ٦٩٢ قبل الميلا. ولما ظهرت دولة «ماد – ميديا» الكردية هاجمت بلاد آشور وافتتهم عن بكرة ابيهم.

٨ – ماد – ميدي – ميديا: ظهرت في سنة ٨٣٥ أو ٧٠١ ق .م وملكها الاول «ديوسيس = كي قباد»، ثم جلس على العرش ابنه «فرايورتيش» وقتل في احدى حروبه مع الاشوريين ٦٣٤ ق .م وخلفه اخوه «كي آخسار» وكان عاقلا وحكيما وبطلا من شجعان الزمان، فاتفق مع حاكم بابل «نبوبولاصر» ٦١٥ ق .م وهجما على بلاد الآشور واستوليا على عاصمتهم القديمة «آشور = شرقاط». وتوثيقاً لعرى المودة والتحالف زوّج اخته «اميتبس» من «نبو خذ نصر اي بختنصر او بختاك» ابن ملك بابل. وعندما صار بختنصر ملكا على بابل شيد القصور والحدائق المعلقة في بابل لزوجته المذكورة تقديراً لشرفها وعلو جاهها.

وفي سنة ٦١٢ ق .م حاصرت قوات ميديا وبابل مدينة نينوى عاصمة آشور وفتحتها عنوة حيث انتحر ملك الاشور «سين شار شكوم» مع اهله واتباعه احتراقا بالنار. ولم يترك «كي أخسار» بلدة او قرية اشورية الا وطمرها

(٥) معظم المؤرخين يؤكدون أنها دول أرمنية وليست كردية.

بالتراب، ثم رجع الى عاصمته «اكبتان = همدان» للاستجمام والاستراحة حيث سحب معه جميع الاسرى من بقايا الاشوريين ووزعهم في البلاد طولاً وعرضاً، فإندمج هؤلاء في اهل الاقطار ولم يذكر لهم اسم قط. وبعد سنة من رجوعه استخبر من ملك بابل بأن بعض الذين فروا من الاشوريين اسسوا حكومة جديدة في «حران» برياسة رجل اسمه «آشور اوباليت». فأخذ كي اخسار جيشا قويا وخرج من عاصمته دون ان يعلم احد وجهة سفره، فواصل السير حتى وصل ابواب «حران» على حين غفلة وحاصرها وقتل من فيها جميعاً. وبهذا انقرض الآشوريون تماماً وصاروا في خبر كان. وبعد انقراضهم ظهر النزاع بين ميديا وليديا بسبب تقسيم تراث الآشوريين ودامت الحروب بينهما من ٥٩١ الى ٥٨٥ ق .م ثم تصالحا. وفي الآونة الاخيرة تشكلت دولة (هاخه ماتيش=اخميني) في ايران واستولت على ميديا واملاكها، واشهر ملوكهم هو (سيروش = كورش). وانقرضت هذه الدولة بعد انهزام ملكهم (داريوس = دارا) على يد (اسكندر الماكدوني) ٣٢٣ ق. م.

وبعد وفاة اسكندر تجزأت دولته حيث أسس (سلوك = سلوق) أحد قواده دولة السلوكيين في العراق وعاشت زهاء ٢٠٠سنة تقريباً. ثم تأسست دولة (بارث) أي أشكاني وحكمت كردستان ايضاً. وبعد مدة هربت جيوش الفرثيين أمام جيوش نيرون قيصر روما، فأصبحت كردستان تحت نير حكومة روما ولاسيما في زمن القيصر (ترايانوس) سنة ١١٥ بعد الميلاد. وانقرضت الدولة الفرثية على يد (آردشير بابكان) سنة ٤٢٤ بعد الميلاد وتأسست الدولة الساسانية، وكانت الحروب بينهم وبين الروم سجالاً حتى ٦٣٩ بعد الميلاد، حيث دخلت كردستان وايران في حوزة المسلمين بعد معركة (القادسية) الحاسمة ومقتل (يزد كرد) الملك الساساني. وبعد ذلك تشكلت امارات كردية هنا وهناك مستقلة ونصف مستقلة حتى سنة ١٢٦٤هـ حيث قسمت تركية وايران بلاد الكرد بينهما عنوة واغتصاباً.

الثورات والجمعيات والجرائد والمجلات

ليس من شأن هذه الرسالة الإسترسال في البحث عن الموضوعات المذكورة اعلاه، لهذا اقتصرت على بيان مجمل منها. كما قلت في الفصول السابقة ان

الأكراد مطيعون الى ملوكهم ومنقادون الى رؤسائهم، اذا ماوجدوهم يتجنبون الظلم والغدر وبعكسه فهم ثائرون وخارجون عليهم، كما وقع ذلك في الازمنة الغابرة مراراً وفي العهد العثماني والجمهورية التركية تكراراً. غير انهم كانوا يرجعون الى الهدوء والسكينة حالما يجدون بعض الشفقة والانصاف، كما حدث ذلك في ايران والعراق مرة تلو مرة. فالعدل اذن رأس كل ادارة واساس كل سياسة وحكمة والظلم معول الهدم والانهيار، ولهذا قالوا اذا دام العدل عمّ واذا عم الظلم دمّر.

اما الجمعيات، فقد كثرت قبيل الحرب العالمية الأولى وازدادت بعدها على اختلاف انواعها ومشارب القائمين بها سياسية كانت او ثقافية، سرية او رسمية. وخمد اكثرها ودخل بعضها في دور السبات لعدم الانسجام والوفاق بين اعضائها او لدخول بعض الخونة والجواسيس في صفوفها، الامر الذي آل الى غلق ابوابها من تلقاء نفسها او سحب الحكومة اجازتها. ومن البديهي ان لم يكن اعضاء الجمعية الواحدة على مبدأ معين ومنهج معلوم. فالجمعية محكومة بالانهيار والفشل، بالأخص اذا كانت سياسية اذ المثل العليا في جمعيات كهذه ان يكون الفرد متشربا بالحمية الوطنية وبخمرة الشهامة مع ترجيحه القضايا الوطنية على منافعه الخاصة. ولم تستمر على البقاء لدينا في العراق من مثل تلك الجماعات سوى (جمعية نادي الارتقاء الكردي) الثقافي والتي استحصلت على اجازتها باسمي في مايس سنة ١٩٣٠. وأما الجرائد والمجلات الصادرة باللغة الكردية والتي استمرت على الصدور الى حين ثم اختفت، فمنها جريدة (زين) في السليمانية لصاحبها المرحوم (پيرەمێرد) و(گەلاوێژ) (ونزار) لصاحبها المفضال (ملا علاء الدين السجادي).

النساطرة

او من اسماهم الإنگليز بالآثورية

بعد ان هجم (كي اخسار) ملك ميديا بالاتفاق مع بابل على بلاد آشور وهدم مدنهم وطمر عاصمتهم القديمة والاخيرة (آشور – شرقاط) (ونينوى) ثم بلدة (حران) وساق النساء والاطفال الى ايران، لم يبق اثر لأسم (آثوري) في

البلاد كانهم ما كانوا اصلا ولم يرد بعد ذلك اسمهم في الكتب القديمة والإسلامية وبالرغم من ورود ذكر الطوائف الكلدانية والسريانية والأرمنية باسماء مختلفة كالنساطرة واليعاقبة في ربوع هكاري وماردين ونصيبين وشمال مراغه واورميه، سوى انه جاء اسم (آصور) اشارة الى النساطرة المتوطنين حوالي (جوله ميّرگ) من نواحي هكاري في ولاية وان، وذلك في زمن الامير (اسد الدين) الشهير (بالكف الذهبي) وخلفه (عزالدين شير) ملك هكاري. ويؤيد قولي هذا ماجاء في كتاب (المسألة الكردستانية والترك) واليك ذلك:

ان النساطرة (الآشوريين الحاليين) في الأصل أكراداً إعتنقوا الديانة النصرانية وكان مركز بطريركيتهم بلدة (قوجان) شرق (جوله ميّرگ). وجاء في تاريخ الطبري انه في سنة ١٥٨ هجرية أوقع (مسرور البلخي) بالأكراد اليعقوبية، وقال السمعاني: ان (نسطوريوس) الرئيس الروحاني لهؤلاء الأكراد المتنصرة والمؤسس للفرقة النسطورية عومل بالحرمان بقرار مجلس السنودس (أفسس) سنة ٤٣١ بعد الميلاد، وأبعد الى أماكن متعددة حتى استقر في (ثبثد) ومات فيها. وزاد السمعاني قائلاً ان سبب انتشار المذهب النسطوري في الجهات الشرقية يحمل على أمرين:

(١) في العصور السالفة كانت توجد في مدينة (أدسا = رها = أورفه) مدرسة ايرانية لها مدرسون يعلمون الناس العقائد المسيحيه، وكان رئيسهم راهب نسطوري يعلم الطلاب مذهبه.

(٢) ان مطران الشرق المخالف للعقيدة المقدسة ولطريقة السنودس رأى المذهب النسطوري ملائماً، فسعى على نشره بكل مالديه من حول وقوة وهكذا انتشر هذا المذهب في ايران وكردستان بسرعة وثقة. وقال رؤساء الكلدان الروحانيين وكتابهم ان الذي قام ينشر المذهب النسطوري في الشرق هو المدعو (بارسوما) الذي كان مطرانا في (نصيبين) مدة ٥٤ سنة من ٤٥٣ الى ٤٨٩ بعد الميلاد. وكان زميله (نرسس) ناظر مدرسة (أدسا = أورفه) المتوطن في نصيبين أيضا ساعده على نشر تعاليم مذهب (نسطوريوس)، ثم تولى محله تلميذه (يوسف هازيتا) واستمر في نشر المذهب بكل نشاط وهمة. وهكذا

انتشرت النسطورية بسرعة فائقة، الامر الذي اضطر معه مجلس (السنودس) ان يعترف بهذا المذهب الذي وصل الهند والصين. وقال بعضهم ان النسطوريين الذين يسكنون في جهات هكاري ينتسبون من جهة الدم والعنصر الى شعب «كلدين» أو خلدي الذين كانوا في جبال هكاري منذ ما يناهز الـ ٢٥٠٠ سنة. وبما ان النساطرة الحاليين يسكنون هذه الجبال نفسها، فلا بد انهم من احفاد الخلديين القدماء. والنساطرة اليوم بأنفسهم يدعون انهم احفاد الخلديين، والدليل الثابت على هذا هو عدم وجود لغة شعبية لهم غير اللغة الكردية. كما ان مؤرخي العرب في صدر الإسلام اعتبروهم واليعاقبة من نصارى الكرد. فادعاؤهم الآن بانهم من بقايا الاشوريين مغالطه لإعتبارات سياسية دسها الإنكليز في أدمغتهم. وقال الراهب (اكازه جاي) ان النساطرة احفاد (كلدانيي) بين النهرين الذين هجروا بلادهم الاصلية من قسوة الفاتحين الى جبال هكاري في عهد قديم جداً ولما اعتنقوا المذهب النسطوري سموا بهذا الاسم.

هذه خلاصة ما قاله علماء الآثار والتاريخ والمفهوم من هذه الآراء ان المدعين (بالآثورية) أو (الاشورية) في الوقت الحاضر لم يكونوا منهم أبداً. ثم عند الفتوحات الإسلامية وقبول الأكراد الإسلام أسلم الكثير من النساطرة عدا البعض منهم، حيث استمر على ديانته وبقى في مكانه حراً من كل الوجوه محفوفاً بالامن والسلامة مقابل جزية يعطيها للامير المسلم، سواء اكان عربياً أو كردياً حسب الاصول المتبعة والاحكام الشرعية لأنه معفو من الخدمة العسكرية. وعلى هذه الصورة بقى النساطرة بين الأكراد المسلمين عصورا وهم في حرز وصيانة متمسكين بديانتهم المسيحية ومشتغلين بزراعتهم وأغنامهم، حتى كثرت ثروتهم وشمخت انوفهم وطغى بهم مالهم وعددهم، فاخذوا يتحينون الفرص لإنزال الشر بأبناء جنسهم المسلمين من الأكراد جيرانهم الصادقين العادلين، وذلك بإيعاز وتحريض الاجانب الذين كانوا يؤمون قراهم بين الفينة والفينة باسماء وأشكال مختلفة، (طالع كتاب سياحة متنكرة مابين النهرين وكردستان – لندن ١٩١٢)، دون ان يفكروا بأن الأكراد لو أرادوا في حينه وفي أوقات معينة لأجبروهم على قبول الدين الإسلامي أو قتلوهم جميعاً فلا سائل ولا مسؤول آنذاك. ولكنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ذلك، لانهم في

ذمتهم والذمي محفوظ الحقوق والحياة شرعاً.

قلت ان النساطرة لم يعرفوا الاسم الآشوري الا بعد تلقينات الاجانب، وبالاخص منهم ضباط الإنكليز التابعين للجيش الهندي، والذين كانوا يأتونهم على شكل سائح او بهيئة قسيس ويعلموهم الفنون الحربية ويعدوهم بمستقبل باهر عند النهوض والعصيان ضد الدولة العثمانية. ولما اقتربت اوار الحرب العالمية الأولى ودخلت جيوش روسيا الى جهة (وان)، ثار الأرمن من الشمال والغرب وقام هؤلاء النساطرة من الجنوب والشرق وهجموا على عشائر الأكراد من كل جانب، واقترفوا من اعمال القسوة نحو ابناء وطنهم الذين عاشوا معهم قرونا وعصوراً مالم يكن في الحسبان. لكن الله عاقبهم باشد العقاب والعذاب. اذ فور نكوص الجيش الروسي الى بلاده اجتمع الأكراد ومن ورائهم الجيش العثماني وهاجموا النساطرة بسطوة وشدة، فهربوا معقبين الجيش الروسي وعلى رأس قسم منهم (آغا بطرس) حتى وصلوا جهة (اورمية)، حيث وقعوا هناك في ورطة اعظم وامرّ جزاء سيئاتهم وخيانتهم. اذ تلقفهم اسماعيل آغا (سيمكو) رئيس عشائر شكاك الكوردية وضربهم ضربة قاضية انتقاما وثأراً لابناء جلدته من أهالي هكاري ووان ولم ينج منهم، الا الذين تمكنوا من الهرب حاسري الرؤوس والاقدام الى جهة همدان، دون ان يجرؤوا بالمرور من المناطق الكردية، حيث حضنهم الجيش الإنكليزي كما سيجيء البحث عنهم في الفصول القادمة.

السياسة وما ادراك ما السياسة

انها تدوير شؤون الدولة والرعية وتمشيتها بعقل وروية وحزم وقوة. وقال بعضهم هي مروءة الاصدقاء ومداراة الأعداء. ولما كانت السياسة الإسلامية غير السياسة الاوربية، فقد وجب ان اذكر كل واحدة منها بايجاز غير مخل للمقايسة والمقارنة، فهي عند الإسلام على نوعين:

أ – حقوق الله وهي العبادات

ب – حقوق العباد وهي المعاملات وكل واحدة منها تنقسم الى داخلية وخارجية وهي مستنبطة من الكتاب الكريم والسنة واعمال الخلفاء والصحابة والائمة.

قال الله تعالى في كتابه (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل واطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم) وقال النبي (ص) (ان الله يرضى لكم ثلاثاً (١) ان تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً (٢) ان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا (٣) ان تناصحوا من ولاه امركم) وكذلك قال (ص) (من ولّي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلا وهو يجد من المسلمين اصلح منه. خان الله ورسوله.)

فينجلي لنا مما تقدم انه لا بد من آداء الامانات والحكم بالعدل والتوحيد والاتحاد وعدم تولية غير الصالح. ومن ولى رجلا لمودة او قرابة او لمنفعة او لضغن وعداوة، فقد خرج عن احكام الكتاب والسنة. لأن الولاية امانة يجب اداؤها في موضعها، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. وعلى هذا الاساس، فإن القصد من تأدية الامانات هو اداء الحقوق الآلهية لساناً وقلباً، والجهاد في سبيلها والامر بالمعروف والحكم بالعدل والمساواة بين الناس، واحترام حرياتهم. واما حقوق العباد، فهي المعاملات فيما يخص البيع والشراء والايجار والرهن والهبة والحوالة والكفالة والشفعة والتجارة داخلاً وخارجاً بانواعها، الى آخر ما هنالك من احكام تخص الميراث والطلاق والنكاح والوقف والإيصاء والوصية. ان سياسة الإسلام الخارجية يمكن ان تلخص في الوفاء بالعهد والتزام جانب العدالة والمرحمة في الحروب باجتناب التمثيل وازهاق ارواح الاطفال والشيوخ والعجزة والرؤساء والروحانيين والاسرى. وليس من موضوع هذا الكتاب التفصيل في هذه الامور كلها سوى مايتعلق منها بلب اهدافه. هذا وإن السياسة الإسلامية هي سياسة العدل والإحسان والانصاف والاخوة والمساواة وتخفيف وطأة العسر عن الفقير وقصر الاثراء عن المثرين بصورة غير مرئية، وهي السياسة التي قدرها اكثر رجال العالم وودوا من صميم قلوبهم لو أنهم حذو حذوها تخلصاً من التذبذب والتسبب الذي يسود مجتمعاتهم.

قلت ان من بحث تأدية الامانات هو إنتخاب الحاكم سواء سمي خليفة او سلطانا ملكا او اميراً قائداً او قاضياً. ولهذا كان امر الخلافة في صدر الإسلام بالإنتخاب والمبايعة، ثم بدله معاوية بن ابي سفيان بالملوكية خلافاً لما كان

عليه الصحابة. وأن من اهم اركان الولاية، القوة والامانة وتقديم الأصلح والأورع والأفضل والأعلم والأعف والأنزه وبالأخص في قيادة الجيش، وان كان فيه بعض النواقص، على الرجل الضعيف العاجز وان كان اميناً. لأن الفاجر قوته للمسلمين وفجوره على نفسه، ومعنى هذا (اعط القوس باريها). ومثال ذلك ان النبي (ص) كان يستعمل خالد بن الوليد في قيادة الجيش رغم هفواته وقال عنه (سيف سله الله على المشركين). فالعدل والكفاءة هما افضل الصفات، فبهما تعمر الدنيا وبالجور تدمّر، كما جاء في الحديث (يوم من امام عادل افضل من عبادة ستين سنة)، وكذلك (احب الخلق الى الله امام عادل وابغضهم اليه امام جائر). ويتميز اهل العدل والطاعة عن اهل الجور والمعصية بالنية الحسنة والاعمال الصالحة. ولهذا تولية الاخيار خير من تولية الفجار.

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ان سياسة المساواة في الإسلام تظهر بمظهرها الصادق في اجتماع المسلمين لاداء الصلاة باوقاتها الخمسة حيث يقف الفقير بجنب الغني الموسر والوزير الحاكم بجنب السائل. وكذلك تتجلى في الحج اذ تجتمع الآلاف المؤلفة من الناس من كل فج عميق في مكة المكرمة مرتدية الاكفإن ومؤدية مناسك الحج وهي حاسرة الرؤوس مهرولة بين الصفا والمروة. وفي هذا الاجتماع من الفوائد العظيمة لعامة المسلمين، فهو اعلان للمساواة بين الرفيع والوضيع والامير والفقير والقوي والضعيف. وفيه مجال للتعارف بين المسلمين والتعرف باحوالهم في الشرق والغرب. ثم ان فريضة الصوم لاتقل اهمية عما سلف بحثه، اذ فيها شعور بمرارة الجوع والحرمان وما يلم بالجائع من حسرة واضطراب. فيدرك اذ ذاك معنى قوله تعالى (واما السائل فلا تنهر) ثم فيها (صدقة الفطر) وهي عطاء لمن يستحق الصدقة. فضلا عن كل ما تقدم ففيها دليل المصالحة والتعارف في الأيام الأولى من شهر شوال (العيد).

واما السياسة المالية

فهي لاتقل اهمية من حيث الشؤون الاقتصادية ومساعدة الطبقات الدنيا (الفقيرة). وهي في لغة الشرع الامانات في اموال الناس اولاً. ويدخل فيها الاعيان المنقولة وغير المنقولة والديون والودايع واموال الشريك واليتيم والوقف

وصدقات النساء وغيرها، وعلى كل فرد اداؤها تماماً. وثانياً؛ اموال الدولة المتكونة من الزكاة (الضرائب) والغنيمة وهي مايؤخذ في الحرب، وقد جاء بحثه في سورة الانفال ومعنى النفل الزيادة. والفيء وهو ما أُخذ من الكفار بغير قتال، ومعنى افاء رده الله على المسلمين. ويدخل في الفيء جميع الضرائب والجزيات واللقط ومال الميت بلا وارث والهدايا والاموال المصالح عليها بين الإسلام والأعداء. والهدية اذا كانت للصداقة والمودة فهي حلال شرعاً، وان كانت لإنجاز عمل فتكون رشوة والراشي والرائش والمرتشي محلهم النار. اما الصدقات، فهي لمن ذكرهم الله في الآية التالية (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم). والفقير هو المحتاج جداً الذي لا يكفيه ما يحصل عليه من عمله، والمساكين اللذين لا يقدرون على العمل وليس عندهم أي مال كان، والعاملين عليها هم جباة الصدقات العفيفين، والمؤلفة قلوبهم اى الذين اسلموا قريباً وقلوبهم غير آمنة بالدين تماماً، فيعطي لهم لتأليف قلوبهم ويرجى منهم حسن إسلامهم وتشويق نظيرهم للإسلام، وفي الرقاب لعتق رقبة عبد او افتداء اسير، والغارمين المديونين، وأبن السبيل هو الذي ليس عنده ما يكفيه للوصول الى بلدته واهله. ثم ان القصد مما جاء في الآيات من لزوم الحكم بالعدل هو اقامة الحد على الشريف والوضيع سواسية دون قبول شفاعة، ومن خالف هذا فقد استحق اللعنة. ثم انه لما كان المؤمنون اخوة فكل واحد ولي الآخر، فللمسلم ان يأمر اخاه بالمعروف وينهاه عن المنكر لأن المؤمن من أمن الناس منه على دمائهم واموالهم. والمسلم من سلم الإسلام من لسانه ويده. قال النبي(ص) يوم فتح مكة جواباً على سؤال اهل مكة (اذهبوا انتم الطلقاء) وعفا عن جميع الذين امر بهدر دمائهم عدا عبدالله إبن أبي سرح. كما ان الخلفاء والملوك عفوا عن الكثيرين من الذين خرجوا عن طاعتهم بعد أن اذعنوا وسلموا انفسهم، وذلك لرجوعهم الى جادة الصواب. وعلى هذا الاساس كان من واجب الحكومة العراقية والحالة هذه ان تتجنب اعدام ضباط الأكراد وتشريد البارزانيين وحبسهم، بعدما اذعنوا وسلموا انفسهم الى السيد على الحجازي مدير شرطة الحركات آنذاك بناء على تعهده لهم، كما قيل في حينه وكما سيأتي البحث عنه مفصلاً. وقبل ان اختم

هذا الفصل اقول لكل مسلم ومسلمة ان يبذل النصيحة لغيره، كما قال النب (ص) (الدين النصيحة) ثلاث مرات، لأن النصيحة ان لم يكن فيها نفع فليس فيها ضرر.

٢ - السياسة الاوربية

لا يسعني ان أبسط السياسة الاوربية كل البسط في هذا الكتيب الصغير، ولهذا اقتصرت على بيان ما يلزم ذكره بقدر تعلق الامر بموضوعنا هذا. ان موضوع السياسة الاوربية يمكن تقسيمه الى قسمين رئيسيين؛ قسم اداري وآخر مالي، وكل واحد يصنف الى سلطة زمنية وسلطة دينية. فالسلطة الزمنية كانت باكورة أعمالها الالحاد والاغتصاب والاستعمار والسياسة المكيافلية القائمة على الظلم والجبروت. والسلطة الدينية وهي المسيحية الكنسية تنحصر في (آمن ولاتسأل) واعتقد بألوهية عيسى وأعطيك صك الغفران وأغذيك الطعام المقدس. وقد فشلت هذه السياسة تجاه العلم الحديث[٦] لأنها لاتعنى الا بسلامة الروح في الآخرة فحسب. كما وان الالحاد والاستعباد أوجب الحقد بين الكنيسة والدول الملحدة التي كان جل أهدافها ينحصر في الاستيلاء على الممالك الضعيفة بإسم الاستعمار والتمدين. وهذا الجشع نفسه خلق الكراهية بين الدول الاوربية ذاتها، فارتكز كل واحدة منها على قوتها وسطوتها التي جلبت الدمار والتعاسة على الانسانية، رغم تبجح هذه الدول بالرقي المادي الذي كان يمكن ان يكون مصدراً لسعادة البشر ورفاهيتهم.

وأما السياسة المالية، فهي مضطربة ومنقسمة بين الرأسمالية والشيوعية. فالسياسة الاقتصادية والمالية للنظم الشيوعية قائمة على ملكية الدولة للمصالح والمرافق العامة وملكية الارض ومصادرة ثروات الاغنياء الطائلة. وأما السياسة الرأسمالية، فهي جمع الاموال والاثراء على حساب الطبقة العاملة التي لا تغنيها اجورها من جوع. وكان كنتيجة طبيعية لفساد النظام

(٦) لانتفق مع المؤلف في تعاليله هذه، إلاّ أن الأمانة تقتضي إيراد ما أثبته دون حذف أو تعديل (الناشرون).

الرأسمالي اشتعال نار الحرب العالمية الأولى وتمزيق الدول المغلوبة على أمرها وانشاء «عصبة للامم» نعتت بعصبة اللصوص، لأن كل عضو فيها كان يسعى وراء منافع دولته المادية. ولم تمضِ مدة طويلة حتى رمت هذه العصبة العالم في اتون حرب جديدة تفوق نارها سابقتها لهباً وتأججا.

وانتهت هذه الحرب الجديدة بفوز انكلترا وأمريكا والاتحاد السوفياتي على دول المحور، حيث لم يمر ردح طويل من الزمن حتى بدأت المنازعات تظهر كرة اخرى على تقسيم العالم. وآلت النتيجة الى انقسامه الى معسكرين شرقي وغربي أخذ كل طرف منه يشن على الثاني حرباً باردة ويكيل الواحد للآخر التهم. والعالم في قلق شديد وحيرة مريرة يريد الامن والطمأنينة والشعوب تريد الحرية والاستقلال، بينما أولئك السفاكون لا يريدون لها ذلك، فقامت الثورات من كل مكان في كوريا والهند الصينية وأفريقيا الغربية والجنوبية والجزائر وتونس والمغرب الاقصى. ومن سوء حظ البشرية جمعاء ان يسلك أولئك السياسيون المدعون باحترام شعائر الناس وعقائدهم ودياناتهم طريق النهب والسلب، واسكات المطالبين بالحرية والاستقلال بالقذائف والقنابل مع ان الدين نهاهم عن ذلك وانقذهم من شر الوحشة والفناء، ودعاهم الى المحبة والسلام والى التعارف وانكار الذات وازالة الفوراق بين الاجناس والالوان وتأليف القلوب وتوطيد العدل.

ماذا قال السياسيون

وماذا يقولون

ان الباحث السياسي اذا ما طالع الجرائد والكتب المطبوعة في سياسة أوروبا، يجد ان ما فاه به السياسيون عن تقرير حقوق الانسان وصيانة الشعوب الضعيفة، لا يخرج عن كونه نغمات ناشزة ونقرات فارغة يراد بها تخدير الاعصاب واغفال الشعوب. كادعاءات الرئيس (ولسن) رئيس الولايات المتحدة الاسبق ومواده الاربعة عشر، ومقررات (المؤتمر الاطلنطيقي)، وما وضعته الامم المتحدة من الاتفاقيات الدولية تحت عنوان «منع ابادة الجنس» فانكلترا مهتمة بفعالية ومصرة اصراراً تاما على ابادة ثوار الماو ماو،

وفرنسا في مناطق كثيرة تبيد الاقوام بنيرانها المستعرة. وما فعلته وما تفعله تركيا بالعنصر الكوردي من جرائم لا يمكن ان ينسى. لذلك فإن كل ما قيل ويقال حول المباديء الدولية ان هو إلا نغم من انغام السياسة وأكاذيبها.

فماهية لغة رجال السياسة المترجرجة وبثهم الدعوة في تحقيق حرية الامم ان هي إلا خرافة!! لقد قالوا:

١ - ان الحرب العالمية الاخيرة هي انتصار لحريات الامم الضعيفة وان هذا القتال المرير والضحايا بالانفس ان هي الا لدفع الظلم والاستبداد ورفع اعلام الحرية على الشواهق ترفرف في الاجواء في كل صوب من المعمورة. فماذا كانوا يعنون بتلك الاقوال وأي استبداد دفعوا وأي ظلم رفعوا وأي علم للحرية نصبوا!! اللهم الا راية الظلم والجور وشنار الخزي والعار.

٢ - قالت الدول الكبرى اننا عاهدنا الله وأنفسنا على اعلان وتقرير حقوق الانسان، ولهذا فلا مجال بعد اليوم لكائن من كان في نهج سياسة التعسف وغمط الحقوق والتلاعب بمقدرات الشعوب. فماذا كان نصيب هذا القول من الحقيقة والواقع؟ لاشيء فقد كان مجرد قول القي على عواهنه أو أسطورة أريد بها اغفال الشعوب الحالمة بنيل الاستقلال والحرية والرفاه. واكذوبة سريعا ما كشفت الشعوب عنها النقاب بعدما لعلع في الاجواء أزيز الرصاص ودوي المدافع، فراحت تتسابق الواحدة منها تلو الاخرى في احتضان الشيوعية تخلصا من نهشات الذئاب وعضات الكلاب.

أن أمريكا الداعية للحرية والمتشبثة بالسلام هي نفسها التي أجرمت بحق الانسانية وأفنت الألوف من الناس بقنابلها الذرية في حربها مع اليابان في سبيل تحقيق مآربها الرامية الى كسر شوكة اليابان المنافسة لها في عالم التجارة. وهي نفسها التي تمد اليوم فرنسا بالاسلحة العاتية افناءً لشعب فيتنام الباسل. وتلك فجائع فلسطين ماهي الا من صنائعها السود وحليفتها بريطانيا حيث خلقتا اسرائيل في مهبط ومصعد عيسى عليه السلام نبيهم الداعي الى السلم والامان.

فليسجل التاريخ في صحائف اعمالهم هذه الوصمات وليفعلوا هم ماتدفعهم اليه أنفسهم الباغية. فالشعوب قد ادركت اليوم ان طريق الحرية واحد مهما

اعتورته من مصاعب وآلام.

لا ادري ماسيقول التاريخ وما سيكتب عن هذا العصر عصر العلم والنور، لا بل عصر الظلم والجور المعجون بدماء الشعوب المطالبة بحرياتها وانات وصراخ الضحايا الصاعدة الى عنان السماء، عصر المظالم التي هدرت كرامة (٤٠٠) مليون مسلم ومثله من المسيحيين لحفنة من شذاذ الآفاق من اليهود المتشردين.

ان التاريخ وقد اخذ يسير بالشعوب نحو الامام سيسجل بمداد قاتم غدر أولئك الفجرة وظلمهم، وسيعذبهم بسياط من نار حين يسطر الحقائق اللامعة التي لاتحجبها المزاعم الكاذبة.

٣ – كذلك حينما قالوا بأنهم جادون في تثبيت الحقوق الدولية وتقرير العدالة الاجتماعية ونشل البشرية المعذبة من الفاقة والعوز على اختلاف اجناسها ونحلها ومعتقداتها بمشروع مارشال – ومشاريع اليونسكو. كانت المذابح في الوقت نفسه تقام هنا وهناك لتملأ وجه الارض ظلماً وعدوانا بدماء الابرياء. وكانت (ايران) تئنّ من الجوع والفاقة بسبب تعنت بريطانيا في قضية النفط ومنعها اخراج الزيت بكل وسيلة، الامر الذي ادى الى تأزم وأرتباك الامور فيها. ولولا سياسة (مصدق) وحزمه ووطنيته الصادقة، لوقعت ايران فريسة لاطماع بريطانيا النهمة. ولكن الوطنية والايمان الخالص اللذين كانا يتحلى بهما الدكتور (مصدق) ورفاقه سارت بايران قدماً نحو التحرر والانعتاق، بل وغرست في الشعب غرسا ثابتا لن تستطيع ايدي الخونة أقتلاعها[٧]. فهذه هي تهريجات ساسة اوروبا والتي لم تكن الا لجرّ المغانم واغفال الشعوب والاستحواذ على الامم واستعبادها. وتلك هي الاقوام المغلوبة على امرها والامارات المهضومة حقوقها تئن من نير مظالمهم، فكوريا قد احرق سعير الظلم فيها الاخضر واليابس، وتركيا وظلمها الفادح قد اهلك الملايين من الأكراد، وفرنسا وبطشها قد اشعل جحيم الغدر والبؤس في انام

(٧) يظهر أن المؤلف كان عظيم الثقة بالدكتور مصدّق وهي ثقة لا محلّ لها فمما ظهر بعد ذلك أنه كان يتبع سياسة متأرجحة غير مستقرة أدّت بالأخير الى سقوطه (الناشرون).

وسيام وتونس ومراكش.

فتعالوا نحاسب هذه الدول الداعية الى الحرية، تعالوا ننظر ماذا صنعت للدول الصغيرة التي أمدتها بالغالي والنفيس في حروبها ومعاركها هنا وهناك.

سينجلي لنا الحال بعد التدقيق والتعميق ان تلك الدول بعد الحربين الأولى والثانية ماسارت على خطة الا وكان أساسها نشر الفوضى وبذر بذور التفرقة بين الامم والشعوب، وبالاخص العربية والشرقية منها على قاعدة (فرق تسد) فبريطانيا هي التي تعهدت للملك حسين بتشكيل دولة واسعة الارجاء تضم أكثر اجزاء البلاد العربية، ثم انقلبت عليه وأوعزت للمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود بالهجوم على الحجاز، حيث تم للاخير الاستيلاء عليها فعلاً. وهي التي ارادت التكرم على حساب الأكراد بإعطاء الآشوريين وطناً قومياً في كردستان، لو لم يقف الكرد وقفتهم المعلومة منها[٨]. وهي التي دبرت وحاكت أسس المؤامرة الدولية الكبرى، والتي أثمرت عن انتزاع فلسطين من أصحابها العرب. وراحت تتلاعب بمقدرات البلدان العربية كما شاء لها الهوى ففي كل يوم مؤامرات ودسائس وانقلابات فضحايا. فهل يظن اولئك الذين بيدهم زمام امور العالم ان تظاهرهم الكاذب وأقوالهم المنمقة وبكاءهم على حريات الناس السليبة قد أخفت حقيقة نواياهم وما يريدون بالشعوب؟ كلا ثم الف كلا، فقد عرف الناس في مسلكهم الخداع والوقيعة ولن ينسوا تجارب الماضي وعواصفه المهلكة.

اذ لاجرم انه كلما تكررت أقوالهم المعسولة دون ان تدعمها الافعال والاعمال، فانها لن تكون الا مدعاة للاستهزاء والسخرية.

قلنا آنفا ان الدول الكبيرة قد فرضت على الامم الصغيرة سياستها المبنية على (فرق تسد) وضربنا مثلا لذلك ما جرى في الحجاز. أما في العراق، فقد نهجت بريطانيا نفس السبيل، فقررت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تشكيل دولة كردية في الولايات الشرقية من آسيا الصغرى. وأوعزت الى

(٨) ها هنا يجانب المؤلف الصواب فالآشوريون لم يطالبوا قطّ بوطن قوميّ في كردستان (الناشرون).

بعض رجال الأكراد بعد عقد هدنة (مودروس) للحضور في مذاكرات المعاهدة في (سيڤر)، الا انها حينما وجدت ان تركيا اخذت تميل الى احضانها رجعت ونكثت في عهودها. فعقدت (معاهدة لوزان) وبذلك أسقطت آمال الأكراد. وعندما رأت بريطانيا اصرار تركيا على أعادة ولاية الموصل الى حوزتها، اسست حكومة كردية في السليمانية تحت ملوكية (الشيخ محمود آل حفيد زاده). وبعد ردح من الزمن نفضت ايديها من الشيخ محمود الحفيد، وذلك بناء على تنازل تركيا عن ولاية الموصل للعراق. فساقت الحكومة العراقية الجيوش لمحاربة الشيخ محمود الذي ترك السليمانية اخيراً وسكن في (پيران) بين جبال هەورامان، ثم اضطر على تسليم نفسه بعد مناوشاته الاخيرة في سنة ١٩٣٠. فجيء به الى بغداد، ثم ارسل الى الناصرية للاقامة الجبرية فيها، ومنها الى الرمادي فبغداد ثانية.

الشيخ محمود آل حفيد

وفي أثناء حوادث سنة ١٩٤١ ترك الشيخ بغداد متوجها الى السليمانية وسكن في (داريكلي)، حيث لايزال فيها. كما وان حكومة بريطانيا تعهدت سراً للآثوريين بتشكيل دولة لهم في كردستان العراقية نظير الدولة الاسرائيلية في فلسطين. وبدأت بتطبيق خطتها كلما سنحت لها الفرص، وذلك بالقاء الفتن بين العشائر وتحريكها على الحكومة العراقية. وكان بعض الأكراد المعروفين بانتسابهم الى دار الانتداب برواتب معينة ينفذون ما يؤمرون به تحت شعار القومية. فيدخل بعضهم بين العشائر ويلقنهم ما درسه، فيصدقهم أفراد العشائر هؤلاء بالنظر لبساطتهم وجهلهم. وكان الهدف الاكبر هو القضاء على أكبر عشيرة كردية ليصفوا الجو لسكنى الآثوريين بحجة انهم لا يطيقون السكنى الا في المناطق الجبلية، ومن تكن هذه العشيرة غير عشيرة

بارزان[٩]. ومن جهة ثانية فإن دار الانتداب كانت تجبر الحكومة العراقية على التنكيل بهم بحجج مختلفة، كاتهامهم بالخروج والمروق عن الدين وما الى ذلك من الخزعبلات باذلين قصارى جهدهم لإمحاء البارزانيين، وذلك بانشاء مخافر عديدة في مناطقهم وجمع الاسلحة منهم واسكان النسطوريين المسلحين على طوال خط بروكسل، أي من ديانا حتى اطراف زاخو. ولما كان رجال الحكومة العراقية في دور الاحتلال والانتداب لا يتمكنون من مقاومة ما يريده عميد دار الانتداب بدرجة انهم ينطبق عليهم هذا البيت من الشعر:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

فقد كانت الحكومة العراقية تصر على تنفيذ ما يرتأيه عميد الانتداب والعشيرة تدافع عن نفسها بتقديمها العرائض مبينة اطاعتها للحكومة، لكن نصيبها كان الحفظ والاهمال. ولقد ألحت وألحفت دار الإعتماد على الحكومة، فاضطرت الاخيرة ان ترسل متصرف لواء الموصل (سعادة عبدالعزيز مظفر) الى بارزان للتحقيق عما أسند الى الشيوخ من الالحاد والكفر والسيطرة على أفراد العشائر بالقوة. وعند وصول المتصرف المشار اليه الى (بله وبارزان) واجرائه التحقيق بنفسه وجد ان الشيوخ على درجة كبيرة من التسامح وكل واحد منهم كأي فرد من أفراد العشيرة. كما وجدهم أشد الجماعات ذوداً عن الدين الحنيف مع تمسكهم باحكام الفقه اصولا وفروعا في عباداتهم اليومية. وعند رجوعه قدم تقريره الناطق بالصدق والذي جلب عليه نقمة رجال الانتداب فنقل من المتصرفية.

ومن الدلائل المثبتة لاهداف دار الإعتماد في اسكان النساطرة وتهجير الأكراد هو الحاحهم على نقل (السيد طه حفيد الشيخ عبدالله) من قائممقامية راوندوز الى دهوك، وذلك بسبب منعه دخول النساطرة الواردين من ايران الى العراق. فاضطر السيد المذكور على التخلي عن منصبه والذهاب الى ايران

(٩) ليس لهذا ظل من الحقيقة وهو من خيال المؤلف. إذ لايوجد سند تاريخي يدعم قوله هذا مطلقاً حتى الحكومة العراقية نفسها فإنها لم تقم بأية عملية تهجير للكُرد حتى بأصغر حجم، ولم تُنتزع أرض مهما صغرت وتعطى للآشوريين (الناشرون).

لادارة املاكه الكثيرة في جهات (شنو ولاهيجان واورميه) حيث توفي مسموماً في طهران[١٠]. وبعد سفر السيد طه بدأت قوافل النساطرة تفد من (جلفا) من وقت لآخر عابرة الحدود رغم القيود التي اتخذتها الوزارة لمنع دخول هؤلاء الغرباء الى العراق. في حين ان بريطانيا كانت مجدة لاسكانهم بقوة الجيش النسطوري أو (الآثوري) كما نعتته هي على طول الحدود التركية بشكل دائرة تحيط بالبارزانيين. ولما آمن البارزانيون بالدسيسة طالبوا الحكومة بابعادهم من جوارهم او نزع السلاح عنهم على الاقل، غير ان الإنكليز اعتبروا هذه المطاليب عصياناً منهم بينما هم لم يطلبوا الا أمراً يقيهم شر الغرباء الراغبين في الاستيلاء على أراضيهم. وبدأ الحكام السياسيون بدورهم يبثون العملاء المرتبطين بدوائر (الانتلجنس سرفس) مقابل مخصصات لتحريك المشايخ والعشائر ضد بارزان من جهة، ومن جهة ثانية تلقين رؤساء بارزان على طلب الاستقلال بزعم ان الإنكليز سوف يساعدونهم على نيل ذلك بكل صورة ممكنة. وفعلا فقد نجح بعضهم في مهمته (وكوفيء عليها بالمناصب الرفيعة في الحكومة العراقية). اذ كان أكثر رجال العشائر بسطاء على خلقتهم الأولى يصدقون الاقوال المعسولة ولا يدركون السم المدسوس فيها. زد على ذلك اغترار بعض الشباب الأكراد بهذه الاقاويل الكاذبة وتحمسهم في خطبهم واشعارهم دون البحث عن نوايا بريطانيا المقصودة، في حين ان بعض العارفين من الأكراد باحوال السياسة وألاعيبها نشروا آراءهم وحثوا الشبيبة والرؤساء من العشائر على عدم المبالاة باقوال اولئك الجواسيس بالبيانات المسهبة والخطب المستندة الى براهين قاطعة تتضمن انه لو كانت بريطانيا عازمة على خلق دولة كردية لكان في مقدورها ذلك دون أية صعوبة، ولكن سياستها المتلونه تجذب وتدفع للعمل بها وتحمل مسؤولياتها ولا طاقة لعشيرة أو عشائر بمقابلة الحكومة ومن ورائها بريطانيا.

(١٠) ليس ثَمَّ ما يؤيد قول المؤلف حول وفاة السيد طه (الناشرون).

بارزان والبارزانيون

معنى بارزان

على ما أخال النسبة الى عشيرة برازي، أو انه اسم جدهم الاعلى ومعناه حامل الحق أو عارف الحق أو مقلوبة من (بارسان) أي الدراويش أو برازان أي اخوان الصفا. وعلى كل حال هو اسم لعشيرة كبيرة في شمال العراق، واني اعتقد انهم بالاصل من عشائر (هكاري) الخالدة الاصل والنبل، سكنت الجبال بعيدة عن غوائل العشائر وهجمات المغول. وهم ينقسمون الى اسر وأفخاذ وقبائل وشعب، اهمها شيرواني ومزوري وهركي و(بەرۆژی)[*] ومعناه الصائمين وهذا يطلق على اسرة الشيوخ وأقاربهم مطلقا. والشيوخ الحاليين من احفاد الشيخ (تاج الدين النقشبندي الخالدي) الذي اشتهرت اسرته في الزيبار وبادينان.

وبارزان منطقة جبلية تشمل بارزان، ومێرگەسۆر، ومزوري بالا، وهي محاطة بجبال پيرس وزيبار وشيرمان وبرات من الغرب والجنوب، وبجبال شيرين وباروش من الشمال، وبجبال برادوست وبيراني وكاني رش وكێله شين من الشرق، وجبال اخرى متشعبة من هذه الجبال بأسماء مختلفة والتي تتفرغ من جبال زاگروس المتصلة بأرارات. وبين هذه الجبال وديان وشعاب كبيرة وكهوف عظيمة، وإن قسما منها ليس فيها غير الادغال والاحراش والقسم الآخر تكسوه الاشجار الكبيرة المثمرة وتتراكم الثلوج على قممها شتاءً وصيفاً. والمنطقة مستطيلة الشكل لأن عرضها من الشرق الى الغرب يبلغ الـ ٩٠ كيلومتراً، بينما طولها من الشمال الى الجنوب أقل من ذلك وهي تابعة ادارياً الى لواء اربيل.

ان القسم الشمالي من بارزان بارد جداً في الشتاء وفي الصيف معتدل تقريباً. أما القسم الجنوبي، فهو عبارة عن وديان يكون فيها الصيف أحر من

(*) الأصح هي أن (بَروژ) تعني المنطقة المواجهة للشمس من الجبل، و (بَروژي) هم سكان تلك المنطقة، وهي تطلق على فخذ من العشيرة البارزانية. وتقابلها (نزار) التي هي منطقة الظل من الجبل. و (نزاري) إسم لسكانها. (الناشرون).

القسم الشمالي بطبيعة الحال. وبما ان الأراضي جبلية غير صالحة لزراعة الحبوب، فإن البارزانيين يزرعون شيئا زهيداً من الحنطة والشعير والرز بقدر ما يكفيهم، وذلك بشق الانفس اذ الكراب والسقي في سفوح الجبال صعب ومتعب. كما ان زراعة المحصولات الصيفية قليلة أيضاً وهي عبارة عن ذرة وعدس وماش وبعض الخضروات. وينمو على الجبال بعض الفواكه كالعنب والتفاح والكمثرى والجوز واللوز. وعلى كل فإن العيش في بارزان ضنك جداً، غير انهم راضون بالحال لقدم سكناهم في تلك الربوع. أما المواشي فلا يوجد عندهم من الخيل إلا عدد محسوب والبقر نادر والغنم قليل واكثر ماعندهم من الحيوانات هو الماعز والبغال. وان ما يتاجر به البارزانيون من المواد هو جلود الماشية والحيوانات الوحشية والعفص والبلوط والماعز والعسل. واكثر معاملاتهم مع أهالي الموصل، حيث يأخذون من تجارها سلما قبل نضوج المحصول فيكون كسبهم في جيب الموصليين كله.

عقائد البارزانيين

ان البارزانيين يدينون بالإسلام وطريقتهم هي النقشبندية الخالدية وهم يطيعون شيوخهم طاعة تامة لزيادة محبتهم وإرتباطهم بهم بالطريقة والديانة، كما ان الشيوخ يعاملون أفراد عشيرتهم معاملتهم لاولادهم بمحبة ووداد فائقين، ولهذا اذا أمر الشيخ احداً من أفراد عشيرته ان يرمي بنفسه من ذروة جبل الى واد سحيق فانه يفعل ذلك دون ان يسأل الاسباب. ومع انه لم يقع شيء من مثل هذا فاني اذكر ذلك على سبيل المثال لمنتهى الاطاعة والخضوع والاحترام.

طبائع البارزانيين وعاداتهم الاجتماعية

ان البارزانيين قوم جبليون والجبلي مطبوع على الجرأة والشجاعة ومنتهى الصراحة وعندهم الكذب حرام بتاتاً والغدر ليس من شيمهم. واحترام النساء وصيانتهن أمر واجب وكثيراً ماتقع بينهم وبين فرقة من الأكراد امور تؤدي الى النزاع والمصادمة، لكن الطرف الغالب لايمد يده على نساء واموال الطرف المغلوب. ولهذا ترى النساء يحملن النقود والمصائغ ويخرجن من البيوت وهن

في مأمن من الشر والتجاوز، لأن الغالب ليس له إلا الاستيلاء على الاغنام والمواشي والاسلحة. هذا وان الزواج عندهم قائم على أساس من المحبة المتبادلة. ويتم الإقتران بذهاب الطرفين الى الشيخ وباعترافهما أمامه بالحب المتقابل. يرسلهما الشيخ الى القاضي (الملا) ليجري عقد النكاح بعد اخذ توقيعهما سواء أكان الوالد أو الولي راضياً أو غير راض. ومع ذلك فالغالب أن يكون بموافقة الولي ويندر التعشق بين شاب وشابة دون سن الكفاءة حرصاً على الشرف والعنعنات العائلية، وهذا منتهى الانطلاق والحرية في الزواج. ولذا لاتجد بين البارزانيين من يتجاوز الحدود الشرعية ويدنس نفسه بالزنا. واذا ماظهر زان وزانية وثبت عليهما جرمهما فجزاؤهما القتل حفظاً لشرف العشيرة.

أعياد البارزانيين

ان أعياد البارزانيين عديدة ومنها عيد الاضحى وعيدالفطر وعيد مولد النبي ثم (عيد النوروز) وعيد الخلاص من ظلم (بيو راسبده آك) أي (الضاحك) الظالم. ومن عاداتهم الحسنة هو انهم يؤدون صلاة العيد ويتزاورون بعدها ويتصافحون لازالة الضغائن والاحقاد كما ان المتقدمين والاغنياء منهم يذبحون الذبائح ويهيئون الطعام لأفراد عشيرتهم. ومن افراحهم انه اذا حصل عرس أو ختان أو ختم قرآن أو رجوع غائب، تجتمع النساء بالرجال في ساحة يرقصون فيها على انغام المزمار والطبل برقصة يطلق عليها ابناء الغرب (بالدانس) أو (البالو). وختاما فأن تقسيم الأراضي بينهم جار على طريقة المساواة، اذ كل فرد من البارزانيين له حصة من الارض في القرية التي يسكنها وليس لاحد أن يتجاوز عليها أو يدعي ملكيتها، وكلهم على حد سواء حتى ان الشيخ نفسه لايملك سوى قطعة ارض واحدة وهذه مساواة لايوجد نظيرها أبداً.

عصيان البارزانين في زمن الاتراك

كانت بارزان في عهد الاتراك مقاطعة تعطي ضريبة مقطوعة في كل سنة لخزينة ولاية الموصل ولم يقع فيها أي اضطراب أمداً طويلاً. ألا انه في السنين

الاخيرة لما قبل الحرب العالمية الأولى ارادت الحكومة التركية اجراء تعداد لتسجيل اسماء القرى وأفراد العشائر وكذلك تعداد الاغنام والمواشي، فاعترض شيوخها على ذلك مبينين انهم من العشائر (غير المحررة)، أي ان أفرادها لا تشترك في الجندية نظير (عشائر الجاف) وغيرها، وان القرى المسكونة حالياً غير ثابتة بالنظر للوضع الراهن في الجبال، حيث يستدعي الحال احياناً ان يهجر السكان اكثرها وينتقلوا الى غيرها، لاسيما أيام القحط والغلاء. وان مايدفعونه للخزينة من ضرائب هي اكثر مما يجب دفعه، لكن الحكومة التركية لم تهتم لادعاءاتهم المحقة، ولم تنظر اليها بعين الشفقة، بل ساقت عليهم الجيوش تلو الجيوش مرتين، حتى أضطر شيخها آنذاك (المرحوم عبدالسلام البارزاني) على تسليم نفسه[١١]. فاعدم في زمن ولاية (سليمان نظيف) والي الموصل دون حق، مع ان سليمان نظيف بك كان من أعاظم رجال الأكراد وابن سعيد بك المؤرخ الشهير وصاحب كتاب (مرآة العيون)، ألا انه كان من الاتحاديين الذين شنقوا وقتلوا الكثير من الرؤساء لأسباب تافهة، كما فعلوا ذلك في الاستانة عند خلعهم السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٣٢٥ رومي أي ١٩٠٩م.

حقيقة حوادث بارزان

سنة ٩٣١-٩٣٢-٩٤٤-٩٤٥

والمسماة بالثورات البارزانية

قبل أن أدخل في تفصيل حوادث بارزان سنة ١٩٣١-١٩٣٢ أرى من الضروري ان أمهّد السبيل ببيان الحجج الدامغة والدلائل القاطعة والوقائع الثابتة على ان الفتنة المذكورة نشأت بدسائس وتحريكات اجنبية. ولقد قلت في معروضاتي السابقة بان دائرة الانتداب كانت ترسل أسراباً من الخونة والمأجورين بين أفراد العشائر لاثارة الخلاف واشعال نار العداء بانواع الطرق

(١١) قبض عليه جماعة من قبيلة شكاك وسلّم للسلطات العثمانية بعد أن حلّ عندهم ضيفاً والرواية ثابتة ومتواترة ولا خلاف فيها (الناشرون).

وشتى الوسائل، حتى ان بعض هؤلاء كان يتظاهر بالوطنية بل وكان بينهم بعض النساطرة الذين ادعوا الكردية والإسلامية ايضاً، واخذوا يمجدون الاجداد وينشدون آغاني الحرب والحرية، بدرجة انها جعلت روح التعصب تتقد في القلوب وخيلاء الشجاعة تسري في الشرايين. وكان بين هؤلاء الجواسيس بعض المثقفين ممن يعرفون شيئاً عن تاريخ الكرد يتحدثون بها هنا وهناك بزهو وازدهاء، رغم انهم كانوا بعيدين عن شرف المقصد ملوثين ضمائرهم بالدنس والذلة، ليجروا مغنما أو يكسبوا منصباً. وقد تمكنوا من الوصول الى مآربهم بالنفوذ الى اعماق قلوب بعض الشبيبة من طلاب المدارس والضباط وأفراد العشائر البارزانيين، حيث ورط هؤلاء انفسهم بسائق موهوم ودخلوا طرقاً ودروباً ملتوية يتعثرون بالاحجار والادغال، الى ان سقط بعض منهم صريعاً، حيث نعتتهم الحكومة بقطاع الطرق. كما واضطر البعض الآخر الى ترك اوطانه المقدسة والهجرة الى ايران والإلتجاء الى روسيا. واما من سلم نفسه للحكومة دخيلاً، فقد حكم عليه بالسجن أو الموت خلافاً للقواعد المرعية التي تحتم على الحكومة معاملة المذنب السياسي بالرفق قدر الامكان مقابل تسليم نفسه ورضوخه للحكومة ولكن من يسأل؟ ومن الذي يجيب؟ ولما تحقق لدي مقاصد وأهداف اولئك الجواسيس والخونة، قررت ان اكشف الستار عن هذه الامور وانشرها للعالم، وبالاخص لرجال الحكومة العراقية والشعب العراقي ليطلع كل فرد منه على ماجرى في هذه المنطقة النائية، ليرى الحقيقة ناصعة وليبدي من آمن منهم بحرية الشعوب وحماية المظلومين رأيه الصريح والصادق في هذا الموضوع، لأن عيون المهضومة حقوقهم محدقة ومنتظرة منهم العون والمساعدة.

قلنا ان اهداف الإنكليز حسب تعهدهم السري للآثوريين كانت ترمي الى تشكيل وطن قومي وحكومة للآثوريين في المنطقة الشمالية من كوردستان. وللوصول الى تلك الاهداف مهدوا الطريق ودبروا السبل بوسائل وأساليب متعددة نستعرض هنا بعضاً منها كدليل على صحة مانقول.

الدليل الأول

١ - ماذا قال ولسن وكيل الحاكم الملكي العام في العراق

أنقل هنا موجز ماأراد عمله ولسن بحق الأكراد واليك هو:

كانت سياسة (اللجنة الشرقية البريطانية) تهدف الى تحريض النساطرة والأرمن على القيام ضد الاتراك لعرقلة خططهم الحربية، لذلك فقد اوفدت الحكومة الإنكليزية في كانون الثاني سنة ١٩١٨ الجنرال (وستر فيل)(١٢) وبمعيته بعض الضباط الى جهة اورمية، لحث النساطرة على ضربهم الجيش التركي من الخلف. كما وارسلت اليهم ما يلزمهم من الاسلحة والعتاد ولكن الترك والأكراد باغتوهم بعد ما أحسوا بالوقيعة، وفتكوا بهم فتكا ذريعاً. فالتجأ الناجون منهم الى حماية بريطانيا، حيث نقلتهم هذه الى مخيمات اقامتها لهم خصيصاً على نهر ديالى حوالي بعقوبة. وكان عددهم يقدر بخمسين الف نسمة منهم (١٣,٥٠٠) ارمني، والباقون من النساطرة الهاربين من جهات (هكاري) و(جوله ميرگ) في ولاية (وان). وقد أعيد البعض من هؤلاء النسطوريين الى ايران بموافقة حكومة الشاه، ولم يبق منهم في العراق الا(١٥٠٠٠) نسطوري. وقد اقترح الكولونيل (لجمن) اخراج عشائر الكرد الواقعة على حدود تركيا واسكان النساطرة فيها، بحجة ان الأكراد قد ثاروا مراراً على الحكام السياسيين (أي الحكام الإنكليز المعروفين بغطرستهم وسوء تدبيرهم) فقتلوا (باس) حاكم زاخو وقتلوا في جهات بارزان حاكم الموصل (الكابتن بيل) ومعاونه (الكابتن سكوت)، كما وقتلوا ايضاً حاكم العمادية. وقد وافق ولسن على الاقتراح المذكور فطلب برقياً موافقة وزارة الحربية في آب سنة ١٩٢٠ وختم برقيته بقوله:

(ستتهيأ لدينا فرصة لانصاف النساطرة الآثوريين بصورة ترضاها بريطانيا والدول الاوربية، وتمكننا من حل مشكلة من أعقد المشكلات الخاصة بالاقليات الدينية والجنسية في كردستان، وتخلصنا من خطر دائم على مستقبل السلم في شمال العراق، وفي الوقت نفسه نكون قد عاقبنا المسؤولين عن اضطرابات

(١٢) والصحيح دنسترڤيل (الناشرون). هذه الحملة لم تكن بالقصد الذي أشار اليه المؤلف وإنما لمساعدة الروس البيض في القفقاس ضد ثورة أكتوبر ١٩١٧ الإشتراكية ولا علاقة لهذه الحملة أبداً بما ذكره المؤلف. ثم إن معلومات عمّا جرى من وقائع بين الآشوريين والجيش السادس التركي كلها مغلوطة أساساً (الناشرون).

العمادية وعقرة وزاخو)، فهذا ماكان يريده الإنكليز بنا. وما كان يريده (ولسن) استناداً على اقوال (لجمن) الطائش، انهم يريدون ان يطردوا الأكراد من اوطانهم وبيوتهم لحفنة من النساطرة لا لأنهم نصارى فحسب بل افناء للأكراد بسبب عدم اطاعتهم اياهم. ولكن الله عز وجل بقدرته العظيمة جعل اقتراحهم عقيماً بسبب نشوب الثورة العراقية الكبرى في كل مكان في الشمال والجنوب وبالاخص في الفرات الاوسط. فقتل (لجمن) على يد (الحاج سليمان الشيخ ضاري) وعزل ولسن من منصبه الكبير حيث سافر ولم يعد.

الدليل الثاني

٢ – اصرار المندوب السامي على اسكان النساطرة وموافقة الحكومة العراقية على ذلك

ان الشواهد على اصرار الإنكليز لاسكان النساطرة كثيرة نذكر منها مايلي:

١ – بيان المندوب السامي المؤرخ في ٣١ – ٥ – ١٩٢٠:

ان الحكومة البريطانية تنظر منذ مدة بمنتهى العناية والاهتمام في مسألة حماية الشعب الآثوري واضعة نصب عينها كلا من الخدمات التي ادوها لقضية الحلفاء اثناء الحرب العامة، وقد قررت ان تسعى الى مد حدودها الى ابعد حد ممكن في الشمال. ويؤمل ان يدخل في هذه الحدود الجبال التي يسكنها التياريون وقبائل (التخوما والجيلو والباز)، وان يهيأ لهم وطن قومي، لا للذين يمتون الى هذه المناطق بصلة فحسب، بل لغيرهم من الآثوريين المشتتين وقد تأكد المندوب السامي من ان هنالك مناطق شاغرة في العراق هي اكثر مما يحتاج اليه، وهي تقع في شمال دهوك والعمادية والجبال الشمالية (انتهى).

فيستبان من الكتاب الآنف الذكر ومن صيغته الحادة عزم بريطانيا الاكيد على اخلاء المناطق الكردية المنوه عنها لسكنى بعض الاقوام المجهولة الاصل. اذ ان الكتاب لم يشر الى شعب يسمى بالشعب الآثوري، بل لحفنة من العشائر المتفرقة في ايران وتركيا وروسيا والمختلفة عن بعضها في الجنس، ولكن كان هدف الإنكليز خلق شعب من هؤلاء المتشردة لمآرب خاصة. ثم اية

خدمة من الخدمات جاد بها هؤلاء لقضية الحلفاء غير هجومهم على قرى الأكراد في (جوله ميّرگ)، مستندين الى دخول الجيش القيصري ولاية (وان) فقتلوا ونهبوا، ثم اسلموا الارواح حينما تلقفتهم عشيرة (شكاك) تحت رئاسة زعيمها المعروف بـ (سمكو) وفروا بعد ان اشبعوا تقتيلاً.

٢ – تنفيذاً لتلك السياسة والخطة المرسومة، طلب المندوب السامي من الحكومة العراقية إعطاء الضمانات الكافية للنقاط التالية التي يراها ضرورية لنجاح السياسة المذكورة. فوافقت عليها الحكومة العراقية دون ما قيد أو شرط وهي مايلي:

اولاً – ان تملك الحكومة العراقية الأراضي الواقعة في الشمال من جهات دهوك – عمادية – ميرگه سور – شيروان مازن – زيبار (أي منطقة بارزان). والاصح كما قلت من راوندوز حتى زاخو على طول الخط المسمى (بخط بروكسل) للآثوريين وبشروط مناسبة.

ثانياً – ان تمنح الحكومة العراقية للآثوريين شيئاً كبيراً من الحرية في ادارة شؤونهم المحلية. أي قبول فكرة (الحكم الذاتي).

الدليل الثالث

٣ – ما قاله السر برسي كوكس في مؤتمر استانبول في٩ مايس ١٩٢٤.

قال العجوز الهرم في المؤتمر المذكور ان هناك قضية علا شأنها جداً في نظر حكومتنا منذ انقطاع المفاوضات في مؤتمر لوزان، وهي مسألة مصير الآثوريين من غير الاصل الفارسي. ان حكومتنا تشعر انها مرتبطة باشد العهود لاسكان هؤلاء الآثوريين طبق مطاليبهم ورغباتهم القومية فقد طلبوا بالحاح شديد ردهم الى اوطانهم تحت الحماية البريطانية، فلا يسع حكومتي ان تتقاعد عن اجابة طلبهم مع شدة ارتياح العالم المسيحي «أي عالم ياترى؟ عالم اسرائيل». وقد قررت ان تسعى بالمفاوضات للحصول على حدود تتوفر فيها المقتضيات المسلم بها لحدود مرتبطة بمعاهدة، وفي الوقت عينه تسهل جمع الآثوريين ككتلة واحدة ضمن حدود البلاد التي تبسط عليها حكومة بريطانيا انتدابها تحت سيطرة عصبة الامم «عصبة اللصوص»، واذا لم تقع كل الاماكن التي يقطنها

هؤلاء الآثوريون في ارض اسلافهم، فلابد من وقوعها في مناطق مجاورة لتلك الحدود. وان الحكومة العراقية مرتاحة كل الارتياح «كذب» الى هذه السياسة التي ترمي الى استيطان الآثوريين، وهي تعضد كذلك هذه السياسة كل العضد ومستعدة ان تبدي كل التعاون المطلوب في تنفيذ هذه الخطة. وانه يعتقد ان الحكومة التركية مستعدة للنزول عند رغبات الحكومة البريطانية، لأن أدارة تلك الاقاليم القفرة والسيطرة عليها وادارة السكان القاطنين فيها والسيطرة عليهم كانت فيما مضى مدعاة الى حيرة الحكومة التركية في امرها، لاحتكاكها بالدول القريبة بلا انقطاع. وان هذا الاقتراح لا يشمل اقصى المطالب التي يجب ان اطالب بها بالنيابة عن الاقليات المسيحية، واكتفائي بهذا الاقتراح هو ناشيء من شدة الرغبة في النزول عند رغبة الحكومة التركية على قدر الاستطاعة. فاذا لم يتم الاتفاق على الاقتراح المذكور، فالحكومة البريطانية تحتفظ لنفسها بحرية العمل فيما يتعلق بالحدود التي تطالب بها امام عصبة الامم.

وقد رد عليه (فتحي بك مندوب تركيا) قائلا: لو قلت انني لا ادهش لطلبكم لكنت كاذبا في قولي، اذ ان رئيس الوفد البريطاني في لوزان قال ان حكومة جلالته تطلب منح الكرد (حكومة ذاتية)، وسعادتكم تطالبون الآن بتلك المطاليب للآثوريين! دون ان تلاحظوا بان الآثوريين هم أقلية صغرى للغاية في ولاية الموصل، وانكم في الدفاع عن هذه الاقلية لم تنظروا بعين الاهتمام المطلوب في رغبات الاكثرية الكبرى جداً أي الكرد والترك.

ان الوفد التركي لايعتقد ان العقل يجيز ان ينزع مئات الالوف من الكرد والترك من حضن بلادهم من اجل وضع حفنة من الآثوريين تحت الحماية البريطانية، مع العلم بان بعض هؤلاء الآثوريين من مهاجري ايران. فإن كان الدافع لحكومة بريطانيا الى مساعدة هؤلاء هو أنهم مسيحيون! فإن الناس جميعاً بلا فرق الجنس أو المذهب متساوون في الحقوق، وان الرغبات القومية المتغلغلة في صدور الشعوب جميعاً والتي لا يستطيع المرء خنقها. يجب ان تتغلب على كل الامور الاخرى. فمع تقديرنا لمروءة الحكومة البريطانية في سعيها لحماية المسيحيين (ان نغمة حماية المسيحيين هي من باكورة التجاوز

ووسيلة التعدي على الحكومات الإسلامية وبالاخص على الدولة العثمانية. عندما تريد دولة اوربية ان تنهب أرضاً وملكاً منها أو تجبرها على الاعتراف بأمر ما) لايرى سبباً موجباً يحمل حكومته على تضحية صالح السكان المسلمين في سبيل تلك الغاية.كما وانه لايخطر على بالي من ان حكومتي صادفت في الاقليم المذكور مشاغل مهمة سببت حيرتها في الادارة والسيطرة منذ قرون. فاذا كانت المشاكل الادارية سبباً للتخلي عن البلاد، فاخطركم أنا كذلك بالاضطرابات والثورات التي اثيرت في وجه الادراة البريطانية في مدة قليلة وهي اربع او خمس سنوات في العراق. واقول كذلك ان النساطرة يستمتعون في بلادنا بالامن والفلاح اللذين تمتعوا بهما هناك قرونا من الزمن، شرط ان لايعودوا الى ارتكاب الهفوات التي ارتكبوها في اوائل الحرب العظمى بايعاز الاجانب.

ثم تكلم كوكس بقوله ان الحاجة المستعجلة هي التي حملتنا على تأمين مستقبل الآثوريين وطلب الحدود حسب الخريطة المقدمة، وان الغاية ليست وضع المناطق المبحوث عنها تحت الحماية البريطانية أو تضحية صالح السكان الأكراد الا كثر عدداً في سبيل ضمان صالح الاقليات المسيحية. فالكرد مرتاحون الى الحكم الذاتي المحلي الذي منحوه (اظن انه يشير الى حكومة الشيخ محمود في السليمانية حيث اسست لاخداع الأكراد وتهديد الاتراك في وقت واحد وليلقوها عرض الحائط عند الظفر باهدافهم كما جرى ذلك فعلاً)، بل جمع الآثوريين كتلة واحدة في بلادهم القديمة أو بجوارها، ضمن المنطقة المشمولة بالانتداب البريطاني تحت سيطرة عصبة الامم. وأما قول فتحي بك في لزوم عودتهم الى تركيا لا ينطبق على آراء النساطرة، فقد رسخت في اذهانهم كل الرسوخ ذكر المظالم التي قاسوها من الترك في الماضي (من هم هؤلاء النساطرة ليكون لهم هذا الرأي في المسائل الدولية متى قاسوا الظلم وهم الذين هجموا على الأكراد ونهبوا، فهل يجوز بعد هذا ان يكون الظالم مظلوما؟ اللهم إلا في رأي الإنكليز).

فقال فتحي بك يظهر من محاولاتكم بتقديم مسألة جديدة لم يبحث عنها في مؤتمر لوزان الى الاعتقاد بان الحكومة البريطانية تسعى لاحباط المفاوضات

لاغير. وقال أخيراً ان طلب حكومة بريطانيا جمع الآثوريين وجعلهم كتلة واحدة في الحدود لم يبتنَ على رغائب الطائفة، بل لاجل استخدامهم ضد الأكراد والترك، وهذا امر لا يمكن ان تؤمل منه النتائج التي تهدف الى توطيد السلم في هذه الربوع (التي يتشدق بها ساسة بريطانيا شكلا) وتحسين العلاقات بين تركيا والعراق وامكان حفظ سلامة الآثوريين (انتهى).

الدليل الرابع[١٣]

٤ – ماذا قالت لجنة الحدود التي ارسلتها عصبة الامم برئاسة الكونت (تيلكي) رئيس وزراء المجر

قالت بدون حياء بما ان ولاية الموصل ستصبح تحت سيادة دولة مسلمة، فمن اللازم حماية الاقليات (المسيحية واليهودية واليزيدية) بحيث يضمن للآثوريين:

١ – اعادة امتيازاتهم القديمة التي كانوا يتمتعون بها قبل الحرب.

٢ – التمتع بالاستقلال الذاتي في شؤونهم المحلية.

٣ – عدم تقاضي شيء منهم غير جزية سنوية تدفع على يد بطريقهم.

٤ – حق اختيار الموظفين من بينهم.

ويلاحظ ان هذه المواد شبيهة بالمواد التي وضعت في معاهدة برلين كمقدمة لاستقلال بلغاريا وضم (ولاية فلبه) اليها – ومعنى هذه المواد تهيئة الاستقلال لزمرة من المتشردين لايزيد عددهم على الاربعين الف شخصاً، كما قال الإنكليز في تقاريرهم الاحصائية لسنة ١٩٢٠ من ان عدد هؤلاء كان ٤٠,٠٠٠ نسمة، التجأ منهم عشرة آلاف الى العراق حيث منحتهم الحكومة البريطانية اعانات بمعدل (١٢٠) ربية لكل رجل وامراة في الشهر، واستمر هذا الإعطاء ثلاث سنوات ثم سجل اكثرهم في الجيش الليقي .

(١٣) يتجنّى المؤلف كثيراً على لجنة عصبة الأمم كما يسيء نقل الفقرة التي جاء بها من التقرير أو هو يحوّرها بالشكل الذي يتآلف مع مقصده. ويظهر أنه لم يطلع على التقرير وإنّما سمع عنه. وهو بعكس ما يصفه تماماً لاسيما عند تطرقه الى الكُرد والى طموحاتهم القومية (الناشرون).

٥ -يعهد تطبيق المواد المذكورة اعلاه الى ممثل عصبة الامم في المنطقة المذكورة.

الدليل الخامس

٥- اعمال هنري دوبس المندوب السامي

بالرغم من ان الحكومة العراقية بعد ان زودت النساطرة بكل ما يحتاجونه من الاموال كالمعدات الزراعية والحبوب والمواشي والنقود (تحت تأثير النفوذ البريطاني). فإن المندوب السامي كان يضغط على الحكومة العراقية بالحاح شديد، حتى انه اضطرها على منحهم أراضي واسعة (من أراضي الأكراد طبعاً)، واعفائهم من الضرائب والرسوم الاميرية كما يظهر ذلك من قرار مجلس الوزراء المنعقد في ٨ -٣ - ٢٧ ومضمونه مايلي:

١ - اسكان اللاجئين في المنطقة الشمالية.

٢ - عفوهم عن قسم من الضرائب (بل قل عن جميعها وقوله عن قسم كي لا تكون هناك حجة عليه فيما اذا طلب عنصر آخر المساواة في هذا الخصوص).

٣ - منع اسكانهم في الاماكن التي تعارض الحكومات المجاورة اسكانهم فيها، أو السكان الاصليون بسبب حق الإشغال بالتقادم أو أي سبب شرعي آخر.

٤ - اعتراف الحكومة العراقية (بالمار شمعون) بطريقاً للتياريين مع تخصيص (٣٠٠٠) روبية له شهريا. ورغم هذه المساعدات والمنح ومع ان القانون الاساسي لا يجيز التمييز بين سكان العراق بسبب القومية أو الدين أو المذهب الخ... فإن التياريين كانوا يراجعون المندوب السامي في بغداد أو ضباط الليقي والحكام السياسيين لترويج اشغالهم أو مشتكين ومتذمرين (دون مبرر). غير معترفين بسلطة الحكومة العراقية عليهم. والانكى من هذا كله ان رجال الانتداب كانوا على اختلاف وظائفهم يحبذون مراجعاتهم لهم دون مراجعة الحكومة، ولهذا عندما اعلنت الحكومة البريطانية في ايلول سنة ١٩٢٩ عن عزمها على ترشيح العراق الى عصبة الامم وانهاء

الانتداب، ثارت ثائرة التياريين واحتجوا لدى الحكومة الانكليزية والعصبة على منح العراق هذا النوع من الاستقلال! في حين ان الحكومة العراقية قدمت لهم كافة الضمانات اللازمة لحمايتهم. واخيراً ثاروا عليها في تموز سنة ١٩٣٣ بإيعاز من (جمعية حماية الآثوريين الإنكليزية) ومركزها لندن ومثّلوا بقتلى أفراد الجيش بصورة تقشعر منها الابدان حتى انهم احرقوا البعض احياء. فاضطرت الوزارة الگيلانية آنذاك على تأديبهم بقوة الجيش تحت امرة المرحوم الفريق بكر صدقي العسكري واسقاط الجنسية عن بعضهم (المار شمعون) الذي يسكن الولايات المتحدة حالياً ويحاول الرجوع للعراق باية صورة كانت[١٤] وربما يفوز بامنيته في وقت ما. بهذا الشكل كانت سياسة بريطانيا ثابتة الاركان تجاه النساطرة (الآثوريين)، بينما هي تجاه الأكراد والعرب أو بالأحرى تجاه المسلمين كافة، تدور في حلقة مفرغة تتقاذفها الاهواء والمنافع واليك مثالاً لذلك:

ارادت الحكومة المحلية في العراق في حينه إستصدار قانون خاص بالإنتخابات، وكان عليها آنذاك ان تعرض القوانين اولاً على دار الإعتماد للتأييد. فلما أرسل قانون الإنتخاب المبحوث عنه لدار الإعتماد تأخرت موافقة المندوب السامي عليه وجرت مخابرة طويلة بشأنه أجاب السكرتير عنها أخيراً بان (تأخير القانون ناشيء عن الإشكال الحادث في إيجاد حل موافق للمصالح الكردية في المناطق المختلفة حسب معاهدة «سيڤر». ولقد زاد الامر إشكالاً تباين آراء الطوائف الكردية في موقفها ازاء الحكومة وان فخامة المندوب مستعد للموافقة شرط:

«١» ان تكون المناطق الكردية مخيرة في الاشتراك بالإنتخاب من عدمه.

«٢» ان لا يؤثر في موقفهم تجاه الحكومة العراقية ومنزلتهم لديها.

وهكذا قصمت ظهر الحكومة وعرقلت الإنتخابات. أما بالنسبة لسياسة بريطانيا تجاه الأكراد، فإن الإنكليز بعد ترك الجيش العثماني ولاية الموصل

(١٤) لم يحاول هذا البطريرك الرجوع الى العراق مطلقاً. حتى أنه وفي العام ١٩٧٠ عندما أعيدت اليه الجنسية وقبل دعوة رسمية من الحكومة العراقية للزيارة إشتدّ إلحاح الحكومة عليه بالعودة الى العراق إلاّ أنه إعتذر رسمياً (الناشرون).

وإستيلاء الشيخ محمود الحفيد على لواء السليمانية بطلب من القائد التركي إحسان باشا[١٥] في تشرين الاول سنة ١٩١٨، قد اعترفوا بسلطة الشيخ التامة على لواء السليمانية باسم (حكمدار)، وخصصوا له راتباً مقداره (١٥٠٠٠) روبية شهرياً وعينوا له (الميجر نوئيل) مستشاراً سياسياً والميجر (دانلس) مستشاراً عسكريا. وفي تشرين الثاني سنة ٩١٨ بدأت بريطانيا تبث الدسائس لتقليص نفوذ الشيخ محمود والحط من منزلته بتحريك العشائر عليه، حتى أنجرت القضية الى المصادمة وسقوط الشيخ جريحاً في ميدان القتال قرب مضيق (دربند بازيان) عند صخرة كبيرة تسمى (بردي شيخ) أي صخرة الشيخ.

وبينما كان احد الضباط الإنكليز يوجه مسدسه قاصداً قتله، تصادف حضور (الميجر أدموندس) مستشار الداخلية السابق، فاشار للضابط بيده فنجا الشيخ من موت محقق بهذه الصورة[١٦]. ثم أخذ أسيراً الى الهند، لكنه أعيد بعدها في سنة ١٩٢٢ وأعلن نفسه ملكا على لواء السليمانية. وفي ١٩٢٤ شاءت سياسة الإنكليز نزع الملوكية عنه، فارسلت قوات من الجيش العراقي والإنكليزي الى السليمانية، فاحتلتها ابتداء وبناء على هجوم قوات الشيخ اضطرت على اخلائها والتراجع الى مضيق (دربند)، ثم زحفت ثانية بامدادات كثيرة وبعد معارك دامية احتلت السليمانية كرة أخرى. وخرج الشيخ واتباعه الى جهة پينجوين حيث استقر في قرية (پيران) على حدود ايران. وعلى اثر اضطرابات ٦ أيلول سنة ١٩٣٠ في السليمانية وضرب الأهالي بالرصاص، خرج الشيخ محمود من عرينه. وبعد مصادمات دامية دامت عدة اشهر إضطر على تسليم نفسه، فنقل الى بغداد فالناصرية ومنها الى الرمادي وبغداد ثانية. وفي حوادث سنة ١٩٤١ رجع الى السليمانية، وبعد الاتفاق مع الحكومة سكن في قرية (داريكلي) وعند هذا الحد انتهى الامر.

(١٥) الصحيح علي إحسان پاشا وكان قائداً للجيش السادس (الناشرون).

(١٦) لم يحصل هذا أبداً، وإنما نقل الجريح بعد معرفة هويته وقد أورد أدموندس حكاية العثور عليه بتفصيل، وكيفية نقله ثم إحالته الى محكمة عسكرية والحكم عليه بالإعدام ثم تبديل الحكم عليه بالنفي الى الهند (الناشرون).

الدليل السادس

٦ – اتصال ضباط الإنكليز بالنساطرة

في الجيش الهندي ضباط إنكليز يمتهنون التجسس والاشتغال بالسياسة، وكان من مشاهير هؤلاء (الميجر سون) الذي سافر الى الافغان ومنها الى ايران وركد في حلبجه ردحاً طويلا من الزمن. وكان اكثر هؤلاء الضباط يرتادون جهات هكاري داخل ولاية (وان) بصفة سائح أو قسيس، متجولين في قرى الآثوريين يدرسونهم ويعاهدونهم على حياة الذ ومستقبل أرغد. وانا شخصياً صادفت منهم ضابطاً ينتسب للجيش الهندي في دار المرحوم (السيد رجب النقيب) والد السيد طالب باشا النقيب قبيل الحرب العالمية الأولى. وظهر لي من كلامه مع السيد المذكور انه رجع من تلك النواحي التي كان يتوطنها الآثوريون وقد سألني السيد المشار اليه بقوله اتعرف من هذا؟

فأجبته كلا ياسيدي .فتبسم وقال هذا ضابط إنكليزي كان قد سافر الى جهات هكاري للسياحة والاطلاع على احوال الساكنين في تلك الديار وبقي هناك ماينا هز السنة، والآن بمناسبة الازمة يريد العودة للهند. (انتهى)

الدليل السابع

٧ – اهتمام الإنكليز بشباب النساطرة

ان الحكومة البريطانية براً بوعدها القديم، قررت اسكان الآثوريين في لوائي اربيل والموصل. وتأييداً للبر بوعدها اخذت تجمع اولاد الرؤساء منهم وتعينهم ضباطاً في جيش اسمته (بالجيش الليفى) مع تعيين بقية الأفراد الآثوريين كجنود في هذا الجيش يرأسهم ضباط إنكليز. كما انها أي بريطانيا عملت على ادخال بعض الأكراد والعرب والعجم في جيش خليط من الجائعين او حثالة الجيش العثماني باسم الليفي ايضاً. وكان قد انتمى الى هذا الجيش السيد علي خالد باسم (الحجازي) في لواء الموصل تحت امرة آمر العمال الملازم (ليتيلدل)[١٧]، الذي عرفته آمراً للشرطة في اربيل سنة ١٩٤٢ وهو

(١٧) كان ضابطاً برتبة نقيب وليس آمراً للعمال وأغلب الظن أنه قصدها لمجرد التحقير (الناشرون).

مشهور عند الأكراد باسم (خيلهى غهدار) اي الاحول الظالم. واول عمل قام به هذا الظالم احراق قرى (راوندوز) من قرية (جنديان) حتى مصب نهر روكوچك ومنها قرى (بادليان) و(بالكي سر كلي) و(هاوديان) و(سرێشمه) (وهي قرية آبائي التي يسكنها حالياً قسم غير قليل من بيت جياووك) و(دربند) و(خليفان) وقرى اخرى، بحجة ان أهاليها ساعدوا الجيش التركي وبذلوا الطعام له. ولم يتركوا قرية سالمة في تلك المنطقة وذلك لإجبار الأهالي على اخلائها وتسهيل سكنى الآثوريين فيها، بانشاء قرى جديدة لهم. وقد قصت علي عمتي التي ناهزت الـ ٨٥ من عمرها قبل خمس سنوات نتفاً من هذه الوقائع بقولها «جاء الفلا أي (النساطرة) الى قريتنا فهربنا خوفاً من بطشهم، فأعملوا النار فيها كما أحرقوا جميع القرى التي في اطرافنا، وكان الأهالي يفرون منهم الى الجبال مختفين في الكهوف، اما الذين كانوا يصرون على البقاء في القرية بغية المدافعة والمحافظة على اموالهم، فكان مصيرهم الموت الاكيد. وحكى لي (احمد بك) المشهور بـ «بەگۆک» رئيس قرية بادليان وماجاورها من القرى قائلا؛ انه عندما أراد جيش الليڤي احراق قريتنا وقف اخي «يوسف بگ» أمامهم مع اهل القرية يتوسلون اليهم، رافعين رايات الاطاعة، لكنهم لم يلتفتوا الى توسلاتهم فقبضوا على يوسف واخيه بعد منتصف الليل حيث خنقا ثم وضعا في جنافص «كواني» ورميا من اعلى الجبل الى الوادي، فاخذتهما مياه الزاب فراحا شهيدين. وكان على رأس المدبرين او العارفين بذلك التدبير «الملازم علي» او من سمى نفسه «بالسيد علي الحجازي»، الذي ارتقى صعوداً حتى صار مديراً للشرطة العام، ثم سقط في بضع دقائق ونال جزاء عمله وغروره وجبروته بعد ٣٢ سنة من الفاجعة، حيث اعمى الشيطان بصره واغواه على العصيان، فطرد من الوظيفة وصدر الحكم عليه بالحبس لمدة ثلاث سنوات ونصف مع الاشغال الشاقة. فانتقم الله منه للشهيدين المذكورين فأصابه ما أصابه نتيجة سيئات ماعمل وحاق به ما كان به يستهزيء، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، وما الله بظلام للعبيد. ثم ان الإنكليز كانوا يدربون جيش الليڤي الذي سبق الحديث عنه الفنون الحربية والاصول العسكرية. وكلما اكمل جندي مدته جهزوه ببندقية مع ١٠٠خرطوشة وقنابل يدوية وارسلوه الى عشيرته، حتى اجتمع الكثيرون منهم

في اطراف بارزان في سهل نهله[١٨] (ديانا- باطاس) واطراف (دهوك). وكان القصد من هذا الحشد والتحشيد التضييق على البارزانيين واجلاءهم بقوة السلاح عن أوطانهم عند سنوح الفرص. لأن الحكومة البريطانية كما سبق إيضاحه كانت قد قررت اسكانهم على طول خط (بروكسل)، ولكنها بعد التجارب والحوادث المتعددة رأت أن هذه الطريقة غير ناجعة للوصول الى الاهداف المقررة، بل تستوجب اثارة الخواطر وتنبيه العراقيين عرباً كانوا او أكراداً الى مايراد بهذا القطر. لذلك فقد رجعوا الى نسج خطة جديدة تهدف افناء البارزانيين على يد نفس الحكومة المحلية، فوقعت حوادث بارزان الأولى نتيجة هذه الخطة، رغم ان الوزارة قد تأكدت على يد متصرفها (متصرف الموصل) المرسل للتحقيق عن احوال البارزانيين: كذب ما ألصق بالبارزانيين من التهم وصدق شكاياتهم.

الدليل الثامن

٨ - إعتداء الآثوريين على الأهالي ومساندة الإنكليز اياهم

قلنا ان البريطانيين كانوا يلتزمون الآثوريين بكل قضية كبيرة كانت او صغيرة بما لديهم من حول وقوة وبما تسمح به سياستهم المتلونة. فاذكر على سبيل المثال حادثة وقعت لي وكنت اذ ذاك حاكما في كركوك أواخر سنة ١٩٢٣. اذ بينما كنت انا والحاكم عارف افندي راجعين من كفري الى كركوك بسيارة خاصة، صادفنا قرب محطة سليمان بك سيارتين واقفتين في الطريق العام وركابهما المكونين من نساء واطفال على جانبي الطريق يتباكون ويستغيثون، والمطر يسقط رذاذاً وحول اولئك المساكين رجال اشداء يزيد عددهم على العشرين. وعندما اقتربت سيارتنا منهم صاح اولئك الرجال يأمروننا بالوقوف، فاراد السائق ان يهرب منهم ولكنني أجبرته على الوقوف لمعرفة مايريدون. فاذا هم من الجنود الليڤية يبغون اخذ سيارتنا قسراً لركوبها كما اخذوا تينك السيارتين من الركاب. وعندما وقفت السيارة هجم علينا

(١٨) لم تكن القنابل اليدوية من العتاد الذي يُعطى لفرد الليڤي عند تسريحه وهي من خيال المؤلف (الناشرون).

اربعة منهم، بأيديهم العصي والهراوات فضربوا السائق على رأسه ولما نبهتهم الى اننا حكام لم يلتفتوا لقولي بل الحوا علينا بالنزول وتسليم السيارة. فعند ذاك ثارت ثائرتي، فأضطررت على اشهار مسدسي بوجوههم ونزلت من السيارة والمرحوم عارف افندي يرمي بنفسه علي ويرجوني التريث.

فدفعته عني جانباً وطلبت من اولئك الاشرار التباعد عن السيارة، والا اطلقت النار عليهم، فتباعدوا واجتمعوا يتداولون بينهم. ولما وجدت الخوف قد استحوذ عليهم طلبت منهم ايضاً ترك السيارتين الأخريين حالاً، فتركوهما وصحت بالركاب ان اركبوا فركبوا وتحركت السيارتان وسيارتنا في اثرهما. وعند وصولنا كركوك كتبت كتاباً لقائد الجيش الليقي (الكولونيل الكسندر) بواسطة (الكبتن ملر) معاون الحاكم السياسي. حيث طلبت بكتابي معاقبة اولئك الأفراد لتعرضهم بالناس وأرسلت صورة منه للمتصرف المرحوم فتاح باشا (والد البكوات سليمان ونوري ومحمود)، وكذلك صورة منه الى رئيس الحكام السياسيين وكان المستر (ادموندس) اذ ذاك. ولما مضى على ارسالي الكتاب المذكور اكثر من أسبوع دون أن يردني اي جواب، فقد اكدت عليه بكتاب ثان اشد لهجة من الاول. وبعد يومين جاءني الجواب بتوقيع (الكبتن ملر) ويتضمن ضرورة ذهابي للمعسكر الليقي القريب من دار المتصرفية لمواجهة القائد. وفي الوقت المعين ذهبت للمعسكر فأوصلني احد العرفاء وهو من الإنكليز الى غرفة صغيرة، فوجدت فيها ضابطاً برتبة (كابتن) فعرفته بنفسي بأني الحاكم المشتكي فقام وأجلسني بجنبه، ثم كتب بعض الكلمات على ورقة صغيرة وارسلها الى القائد. وبعد بضع ثوان رجعت الورقة فأخبرني بأن القائد سيواجهني الا انه عصبي المزاج وربما سيتكلم بشدة فعلي ان اتحمل بالصبر. فقلت له اني رجل جبلي لا يمكنني تحمل هياج القائد خصوصاً اذا كان فيه شيء من الاهانة والتحقير، ولهذا ارى من الانسب ان اترك المواجهة معه وارجع الى محلي فهو اشرف لي وله. فقام الكابتن وخرج ثم عاد يقول لي انه اخبر القائد بما يلزم وهو سيكلمني بهدوء ولطف. وعند هذا الحد دخل القائد علينا وكان رجلا طويل القامة فخاطبني بقوله (كتابك شديد) فقلت له ربما

كان كذلك ولكنه من حقي ان اكتب بلهجة صريحة مبيناً سوء تصرفات الليقيين وإعتداءاتهم المتكررة على الناس. فرد قائلا وقد اخذته الحدة وهل انت تعرف اولئك المعتدين؟ قلت نعم اعرف البعض منهم، فقال حسناً سنرى ثم خرج ورجع بعدئذ الضابط وهو يقول ان القائد يطلب منك تشخيص المعتدين. فقلت حاضر. فذهبنا الى الساحة حيث كان أفراد الجيش على شكل صفين، فدخلت مع الضابط بينهما فاحصاً الوجوه فتمكنت من تشخص اثنين منهم اعترفا بذنبهما حالاً. ثم تركت المعسكر ورجعت الى محلي ولم اخبر بما قرره القائد من عقاب على ذينك المتجاوزين، غير اني سمعت بأنه (قرص اذنيهما بلطف)، الامر الذي يدل على ان الإنكليز كانوا من اللطف والعطف على الجيش الليقي بدرجة انها كانت تشجعهم على ارتكاب مايحلو لهم من الإعتداءات.

الدليل التاسع

٩ – حادثتا الموصل وكركوك المفجعتين

ان الليقي ين بعد ان تجاوزوا في الموصل على الأهالي داخل المدينة دون ان يعاقبوا على ما ارتكبت ايديهم من جرائم، جاءوا بحادثة مفجعة في كركوك في ٤ مايس سنة ١٩٢٤، حيث قتلوا ٥٦ وجرحوا ٤٤ شخصاً عدا الذين لم يراجعوا الحكومة. كما وهاجموا البيوت بدرجة اضطربت لها كركوك وما حولها من القرى، فقام رئيس البلدية آنذاك السيد عبدالمجيد بك اليعقوبي بحركة مسالمة تمكن معها من رد جماح الآثوريين وهياج الاهلين. وبناء على خدمته المذكورة فقد عين متصرفا لكركوك[١٩] وانسحب المرحوم فتاح باشا الى بغداد. ثم امرت الحكومة باجراء تحقيق عن اسباب هذه الحركة. فاجري اللازم وحفظت الاوراق وعوقب بعض التياريين بعقوبات بسيطة جداً اكراما لزرقة العيون التي كانت تنظر الى هؤلاء بعين العطف والشفقة وتدافع عنهم بكل قوة وشراسة.

(١٩) كان وكيلاً للمتصرف وليس أصيلاً لأنه في حينه قائممقام المركز (الناشرون).

الدليل العاشر

١٠ – مقدمة سوق الجيش الى بارزان

كنت نائباً عن لواء اربيل سنة ٩٢٨ – ٩٣٠ وكان المرحوم امين زكي بك وزيراً للدفاع بالوكالة، وحيث اني علمت ان الوزارة قد ارسلت بعض الافواج من الجيش الى جهات دهوك وعقرة فجأة، تقدمت بالسؤال التالي الى الوزير المشار اليه في الجلسة المنعقدة في ١٣-٦-٩٢٩

امين زكي بك

السؤال

ارجو تبليغ سؤالي الآتي الى وزير الدفاع ليجيب عليه:

استخبرت بوجود مناورات وحركات عسكرية في الزيبار والعمادية، فهل هذا صحيح؟ وما هي الاسباب التي دعت اليها في مثل هذا الموسم؟ وهل لهذه المناورة علاقة باسكان الآثوريين في أراضي العشائر البارزانية؟

فقام الوزير واجاب قائلاً (اطمئن حضرة النائب بان استخباراته ليست صحيحه). فقمت وقلت اني أجعل المجلس حكما على جواب وزير الدفاع الذي لم اتمكن من فهمه، اذ كنت اود ان يقول لي بصراحة من انه ليست هناك أي أثر لمثل هذه الحركات، ويعلم المجلس ان التقرير الذي قدمه المندوب السامي السير (هنري دوبس) الى عصبة الامم كان فيه ما يشير الى مثل هذه الحركات العسكرية بغية تدمير الأكراد وأسكان الآثوريين في أراضيهم. فاذا لم يكن لهذا التقرير صحة، فعلى الوزير ان يقول لنا ذلك بصراحة حتى يطمئن المجلس. فكرر الوزير المشار اليه قائلاً: يقول النائب في القسم الاول من سؤاله استخبر بوجود حركات عسكرية في جهات الزيبار والعمادية فهل هذا

صحيح؟) قلت :لا ولاتوجد أية حركة عسكرية وماقلت فيه الكفاية". فنهضت كرة اخرى وقلت ان القسم الثاني من سؤالي يتعلق بالحركات العسكرية في جهات الزيبار والعمادية وبضمنها بارزان، والآن كما يعلم الجميع ان هناك سوقيات عسكرية. فلي أن أسأل وزير الدفاع هل ان هذه السوقيات هي بقصد المناورة لا غير ام هي حركات فعلية؟ نريد ان نفهم ذلك. فرد الوزير قائلاً :أنا طمأنت النائب المحترم وقلت له بانه لا توجد حركة من هذا القبيل ويعلم حضرته ان القطعات الموجودة هناك تقوم بتمارين سنوية في شمال دهوك لاغير (انتهى). هذا ماكان يجيب عليه الوزير في المجلس، وفي الحقيقة ان القصد من ارسال الجيش الى تلك الربوع كان للتحرش بالبارزانيين والتنكيل بهم واخراجهم من مواطنهم عنوة. ولكن هذه الحركة توقفت بسبب (١) اثارتي الموضوع في المجلس النيابي حيث ادى الى انتباه عام (٢) ان ضباط الجيش وعلى رأسهم المقدم (مهدي الرحال) والرئيس (ابراهيم الخالدي) و(محمود جودت) وغيرهم عندما اطلعوا على بياناتي آنفة الذكر تحالفوا على ان لا يقوموا بأية حركة ضد البارزانيين، وان يعرقلوا مساعي الإنكليز في هذا الشأن. وقد اوجست الحكومة خيفة من هذا التحالف ولا سيما التقارير التي بعث بها مفتشو الشرطة ومدراؤها وهم من الإنكليز، والتي كانت تنطوي على الاهابة بالحكومة من الاقدام على شيء. وعلى هذا انسحب الجيش وانتهى الامر بسلام ولو الى امد غير طويل، اذ كان وميض النار يلمع من تحت رماد ومن افواه رجال الإنكليز كما سيأتي ذكره.

الدليل الحادي عشر

١١ – ماذا قال المستر ادموندس مستشار الداخلية السابق

كنت قد قررت بعدما اثرت موضوع البارزانيين في المجلس النيابي ان اواجه المستر (ادموندس)، وهو آنذاك معاون مستشار وزارة الداخلية. فقابلته في محله الرسمي وهو كما معروف عنه ميال للأكراد، وذلك لأن اول اشتغاله في العراق كان بصفة حاكم سياسي لجهات پشدر ورانية ولان له ولعاً خاصاً باللغة الكردية لمعرفته اللغة الفارسية. وبعد المجاملات والسؤال عن الاحوال، قلت له هل لك علم بحركات الجيش المخيم حوالي بارزان بداعي اجراء تمرينات صيفية؟

وما هي الاهداف من بقائه في تلك الربوع؟ فأجاب بايجاز مخل (كعادة الإنكليز عند التهرب والمغالطة) قائلاً: لا! يمكن انها تمارين عسكرية. فقلت له لا أظن ذلك، بل اعتقد ان الهدف من سوق الجيش هو ضرب البارزانيين ومن المحقق ان دائرة المندوب السامي عندها كامل العلم بحقيقة هذه التمارين .فأجاب قائلاً ان هذا السؤال يوجه (للكابتن هولت) السكرتير الشرقي في دائرة الانتداب. فقلت له ومع ذلك، فإن الأكراد يعتقدون ان هذه الحركات مستندة الى طلب رجال دائرة الانتداب. فغطس الرجل في التفكير أو تظاهر بذلك فقمت خارجاً. وفي اليوم الثاني ذهبت وواجهت الكابتن (هولت) الذي يحسن الكردية والفارسية أيضاً، فاخبرته بالحديث الذي جرى بيني وبين أدموندس وسألته رأيه في القضية، فاجابني قائلاً: ان الحكومة البريطانية لها سياسة خاصة في هذا البلد ولا يمكنها تبديل ماقررته من أمور لحفنة من الأكراد . فاندهشت لقوله هذا، فقد نطق بالصدق وبالصراحة غير المعهودة من إنكليزي يشتغل بمهام سياسية. فقلت له سنرى ما اذا كان الأكراد كثرة أم حفنة، ثم خرجت من عنده حانقاً. وهكذا بقيت المسألة في سبات الظلم والغدر والتآمر.

الدليل الثاني عشر

١٢ – دائرة الانتداب في مجال الدفاع عن التياريين

لما كان الآثوريون غير قادرين على مد ايدي التجاوز على حدود البارزانيين لاعتبارات عديدة، فقد توقفت حركة تقدمهم الى تلك الربوع وأخفوا رؤوسهم كما تخفي الحية الرقطاء نفسها في فصل الشتاء. الا ان دائرة الانتداب كانت توعز بصورة مستمرة الى الحكومة العراقية بمراعاة الآثوريين والتسامح معهم، بداعي ان الأكراد يتجاوزون عليهم بالقتل ولا سيما في أثناء الصيد في الجبال. فكأن ادعائهم هذا كان كادعاء الذئب على الحمل، لأن الأكراد أنفسهم كانوا يتجنبون شر الآثوريين، اذ كثيراً ما كان الآثوري يقتل الكردي أثناء الصيد فيذهب دمه هدراً دون أي تحقيق أو تعقب. واما اذا اتهم كردي بقتل آثوري مع عدم وجود امارة أو قرينة تؤيد التهمة، تفور دائرة الانتداب وتغلي وتكثر الشكايات. فتضطر الحكومة المحلية على توقيف سكان القرى القريبة

من محل الحادث، وبالنتيجة الحكم على العشرات منهم. ان هذه الاعمال وغيرها من المظالم هي التي نبهتنا الى المخاطر المحدقة بنا، فدفعتنا الى المقاومة والهياج وتحرير المضابط موقعة من آلاف المثقفين ورؤساء العشائر، والتي رفعت الى صاحب الجلالة طالبين فيها جمع الاسلحة من الآثوريين.

الدليل الثالث عشر

١٣ – بوادر التحرش بالبارزانيين

السيد توفيق وهبي وزير الاقتصاد الاسبق من أكراد السليمانية نشأ نشأة عسكرية صرفة لا تمت الى السياسة بصلة، ولذلك فقد كان ينقصه الادراك السياسي والحزم الاداري .وكان في ابتداء الاحتلال من غلاة دعاة الوطنية الكردية كغيره من الضباط والموظفين، وقد اشتغل مع حكومة الشيخ محمود. فلما تقوضت تلك الحكومة جيء به الى بغداد مخفوراً، حيث بقي مدة في التوقيف وبعد مراجعاتي المتكررة لوزير الداخلية وهو آنذاك المرحوم عبدالمحسن السعدون والسيد عبدالعزيز المظفر مدير الداخلية العام، تم اطلاق سراحه، من ثم عين مديراً للمدرسة العسكرية. وعندما تشكلت الوزارة السعيدية الأولى سنة ١٩٣٠، علمت بان النية متجهة الى تعيينه متصرفاً للواء السليمانية، ولما كنت اعلم ان هذا التعيين ليس في صالح السيد توفيق وهبي، فقد واجهت السيد نوري السعيد وقلت له ان معنى هذا التعيين توريط الرجل في امور لاقبل له بها ولا يقدر على تخليص نفسه منها، وهو رجل عسكري بامكانكم الاستفادة منه في تدريب الجيش وتدريس الطلبة وليست المتصرفية ديدنه، كما وانه من أهالي السليمانية وفيها الاصدقاء والأعداء. فاذا كان لا مناص من تعيينه متصرفا فليعين الى اربيل. فرد عليّ فخامته ضاحكا «لامانع لدينا ان كان هو يوافق والا فالمسألة منتهية». فقمت وذهبت مساء الى اوتيل الجواهري في الميدان حيث كان يؤمه السيد توفيق وهبي. فوجدته منفرداً وبعد السلام، اخبرته بما جرى بيني وبين رئيس الوزراء حول تعيينه، فاظهر عدم الارتياح وقال بنبرات متقطعة تنم عن الانفعال الشديد: اني لا اقبل الا متصرفية السليمانية. فقلت له الامر موكول اليك ولكنك مخطيء وستندم ساعة لا يجدي الندم. ثم تركته وسافر هو حال صدور الارادة

الملكية الى السليمانية. وبعد مدة وجيزة علمت بتشكيل جمعية في السليمانية باسم «الهيئة الوطنية» اساس مطاليبها الحرية والاستقلال ومؤسسوها على ما اذكرهم: «حمه آغا عبدالرحمن آغا والشيخ قادر شقيق الشيخ محمود الحفيد ومحمد صالح بك وتوفيق القزاز ورمزي فتاح وعزت المدفعي وعزمي بك بابان وعزت بك عثمان باشا الجاف وعبدالرحمن أحمد باشا ومجيد افندي كانيسكان وفايق بك بابان والشيخ محمد كولاني». وكان سكرتير هذه الهيئة السيد رشيد نجيب، الذي صار متصرفا للواء كركوك مؤخراً، وكان آنذاك كاتباً عند المفتش الاداري (الحاكم السياسي). ولا ادري كيف افسر امكان التوفيق بين هذه السكرتيرية وتلك الوظيفة الكتابية؟ اذ على القاريء حل هذه المسألة الحسابية؟ ثم انني بناء على اشتداد الحر في بغداد وقرار الهيئة الادارية لنادي الارتقاء الكردي، القاضي بفتح فرع له في اربيل، سافرت بصفتي المعتمد العام للنادي المذكور وبمعيتي الاولاد والعائلة حتى (كفري)، حيث تركتهم هناك وتوجهت الى اربيل ونزلت ضيفا على المرحوم (كوجك ملا افندي) في قصره بقرية (باداوه). وفي اليوم الثاني ذهبت للبلدة، فوجدت الجو فيها مكهرباً والشبان من الطلبة والمعلمين يتهامسون. فسألت جلية الامر، فعلمت منهم ان سبب هذا الهياج هو خلو المعاهدة العراقية الإنكليزية المعقودة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ من ذكر تشكيل ادارة ممتازة في كردستان حسب قرار عصبة الامم، وانهم قدموا المضابط نظير المضابط المحررة في السليمانية من قبل جماعة الهيئة الوطنية، لأن وكيل رئيس الوزراء ووكيل المندوب السامي سيأتيان الى اللواءين

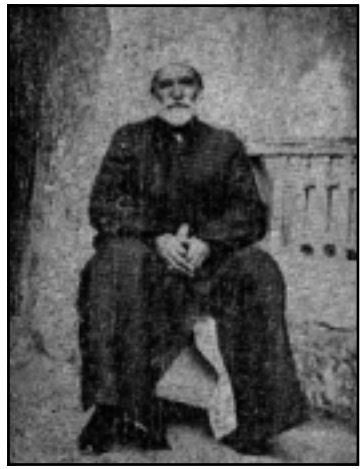

سماحة المرحوم كوجك ملا بكر افندي
ابن العلامة ملا عمر افندي

المذكورين لإلقاء بيان مشترك حول الموضوع. فقلت للشبان المتجمهرين اني ارى التريث قبل كل شيء ولا حاجة للارتباك، لأن كل حركة تبدر منكم قبل اوانها تستوجب المسؤولية والعقاب. فلنرَ أولاً ماذا في البيان ثم العمل. فردوا علي بتهور قائلين: ان أهالي السليمانية قد شكلو هيئة وطنية (الهيئة الوطنية التي سبق ان المحت عنها) تطالب بالاستقلال ونحن نؤيدهم. فقلت لهم: على هونكم ومن مثلنا فلينظر بعيداً ويطرق السبل رويداً، وسألتهم عن المضابط التي حررت. فقالوا سلمناها الى أحمد افندي عثمان ليرسلها الى المندوب السامي. فقلت اذاً يجب اولا مواجهة أحمد افندي، ثم الذهاب الى السليمانية لدرس الحالة عن كثب. اما انتم فعليكم التزام جانب السكينة، لأن اي عمل يستوجب المسؤولية سيستغله الإنكليز لانزال الضربة بكم لمصلحة الآثوريين. فانصرفوا وقد اطمأنت قلوبهم.

القس معتمد المارشمعون

وبينما كنت أسير في طريقي الى البلدية صادفني احد أعضاء البلدية وقال ان هناك رجلا يرتدي ملابس قسيس يسأل عنك وهو الآن يحوم حول البلدية. فسرت اليه فوجدته يقرأ الاعلانات الملصقة على الجدار، فخاطبته بقولي هل جناب الاب يسأل عني؟ فرد مرتعباً من أنت؟ قلت انا فلان. فقال نعم أنت بغيتي ومد يده مرحباً. وقلت أريد أن أتعرف بالقس الفاضل. قال نعم ستعرفني الآن، فانا منذ الصباح أسأل عنك قادماً من الموصل خصيصاً لهذه المواجهة، ثم وضع ذراعه بين ذراعي وأخذني الى فندقه. وبعد الجلوس قام وسد النوافذ والابواب. فسألته ماهذا التحفظ؟ فرد قائلا لا أريد أن يسمعنا أحد. فقلت له هات ماعندك. فنظر وتبسم ثم أخرج هذه الكلمات من فمه بصوت خافت (ان البطريق مارشمعون يسلم عليك سلاماً صادقاً من محب مخلص طالما كان يتشوق الى رؤيتك ويقول اننا أكراد مثلكم ونريد الاتفاق معكم كي نصل الاهداف. قلت (في قلبي الا لعنة الله على الكاذب) ولكن كيف عرفني البطريق مارشمعون وما هي هذه الاهداف؟ فاجاب انت معروف لا لدى البطريق فحسب، بل عند الجميع لما تتمتع به من شهرة بين أبناء جلدتك

الأكراد، وأما الهدف فهو الاتحاد ضد أعدائنا العرب (فهزني قوله ولكن الحاجة لاستجلاء ماعنده جعلتني اتجمل بالصبر). فقلت له عندي ثلاثة شروط للاتفاق معكم، فاذا وافق حضرة البطريق عليها فالأكراد سيلبون دعوته. فقال: وماهي؟ قلت: (١) أن يعلن البطريق تحليل زواج الآثوريات من الأكراد (٢) ان تكون اللغة الكردية لغتهم في البيت وعند اداء الطقوس الدينية (٣) ان يجري احصاء عام لعدد البنادق والاسلحة الموجودة لدى اتباعه، وكذلك يجري احصاء مماثل للاسلحة الموجودة عند الأكراد، ويوزع الزائد منها على من لا يملك سلاحاً. فقال بعد ان تنفس عميقاً، إن الشرط الاول والثاني اخال امكان تنفيذهما، غير أن الثالث غير معقول. فاجبته ولم تراه غير معقول؟ قال لأن السلاح عزيز لدى الآثوري. فقلت اذاً كيف يحارب الكردي معكم وهو أعزل لا يملك غير الخشب؟ قال علي أن أخبر حضرة البطريق وسنرى مايأمر به. وعند هذا الحد تركته وذهبت للمدرسة في القلعة، حيث وجدت هناك المرحوم (كوجك ملا افندي)، فاخبرته بالقضية ورجوته دعوة القس على العشاء ليكون حضرته شاهداً على الوقائع التي تديرها أيدي الإنكليز فوافق. فرجعت تواً أبحث عن القس، فوجدته على قارعة الطريق متوجهاً للسراي، وربما كان يريد مواجهة الحاكم السياسي كنگ (المفتش الاداري). فاخبرته بان الملا افندي يدعوه للعشاء معه، فاظهر موافقته على الدعوة وحضر دار الملا أفندي مساءً. ولما جلسنا على المائدة قلت موجهاً كلامي للملا أفندي ان جناب القس جاء رسولا من حضرة البطريق المارشمعون يحمل سلامه ويبين بان أتباعه الآثوريين هم أكراد مثلنا، لذلك فهو يريد الاتفاق بتحرير عهد بذلك. فتبسم الملا أفندي وقال: وماذا كان جوابك؟ قلت: اشترطت عليه شروطاً ثلاثة، وكررت الشروط آنفة الذكر. فصفق (الملا أفندي) قائلاً: أحسنت هذه نعم الشروط واذا ماوافق حضرة البطريق عليها، فأنا على اتم استعداد للزواج من آثورية. فرد القس علينا بقوله: اني غير مأذون بالقبول أو الرفض، وعلى كل حال سأعود غداً وأعرض الشروط على حضرة البطريق. وبعد ان انتهينا من الطعام، استأذن القس وذهب حيث لم أره بعد ذلك ابداً. وهذه الحادثة رويتها لإيضاح الوضع

الذي كان يسود البلد تأييداً لما سبق وقلناه من أن الإنكليز، هم الذين كانوا يرتبون هذا القضايا لتوريط الأكراد في تشكيل دولة آثورية وأخرى كوردية تكون خاتمة فصولها الاستيلاء على المناطق الكوردية بمعونة الدول الاجنبية.

قضية المضابط

قلت بأن السيد أحمد عثمان أخبر الموقعين على المضابط بانه أرسلها الى دار الانتداب. ولما كان الموما اليه يلعب على الطرفين والإنكليز يلحظونه بعين اللطف والرعاية لخدماته السابقة ولتنفيذه أوامرهم في دور الاحتلال، عندما كان متصرفاً اللواء أربيل، فقد كان الموقعون على المضبطة في شبهة من ارسالها.

المذاكرة على فرع النادي

ولما اجتمعنا في بيت أحمد عثمان للمذاكرة على فتح فرع لنادينا في اربيل، طلب أحمد عثمان أن يكون هو المعتمد للفرع المذكور، ولكن المجتمعين رفضوا طلبه ذلك. فبينت له بأن المسألة تعود لرأي الناخبين، الا انه لم يع كلامي، بل راح يراوغ ويسرف في وضع العراقيل للإجتماع الذي تقرر عقده في الجامع الكبير. ولم يحصل الاجتماع فعلا بالنظر لتطويق الشرطة الجامع. وفي اليوم نفسه ذهبت الى دار شيخ الشيوخ وأديب الزمان ورئيس الاشراف المرحوم (عبدالرزاق آغا بن فتح الله آغا بالك)، وكان عمره اذ ذاك (١٢٠) سنة حسب ادعائه، فوجدته مضطجعاً على الفراش يئن من ألم المرض والشيخوخة. فاخبرته بما وقع بين المجتمعين وأحمد أفندي ثم اقتحام الشرطة للجامع (بإخبار مفسد). فقال لي أن هذا العمل من أفعال أحمد أفندي لا ريب فيه، ولكن هذا بيتي تحت تصرفكم. فشكرته على روحه الوطنية ثم استأذنت بالانصراف، فاصر عليّ أن يكون محل الاجتماع في داره. ولما خرجت من عنده صادفت بعض الاصدقاء العاملين معنا، فاخبرتهم بأن الاجتماع سيكون في بيت عبدالرزاق آغا بعد صلاة الجمعة مباشرة، غير انه لم يمض وقت طويل حتى بلغني أن الشرطة قد أحاطت بدار عبدالرزاق آغا لمنع الاجتماع، فصحت (أعوذ بالله من شر الخونة) ثم سرت الى الدار المذكورة.

فوجدت شرطيين على الباب وقلت لهما ما الخبر؟ قالا الدخول ممنوع، فضحكت وقلت يعنى (ممنوع تخشون)[٢٠] (وكانت هذه العبارة مكتوبة على جدار نادي الضباط الحالي في أيام الاحتلال، حيث كتبها رجل هندي وكنا كلما نمر بها ونقرؤها نضحك، الى ان صار لهذه العبارة شهرة ذائعة الصيت في بغداد).

ثم راجعت مدير شرطة اللواء، فافهمته بانه من غير اللائق وضع أفراد من الشرطة بباب عبدالرزاق آغا يمنعون الناس من زيارته وهو مريض، وكان يمكنكم أن تقولوا لي بان الاجتماع ممنوع بامر المتصرف، ثم طلبت منه سحب الشرطيين لأني سوف لا أعقد الاجتماع المذكور، مادام المتصرف يعارض في ذلك وهكذا تم سحبهما فوراً.

الدليل الرابع عشر

١٤ – لماذا كان عملاء الإنكليز يحاربونني

بينما كنت متوجهاً الى القلعة لمواجهة أحمد أفندي عثمان اذ صادفته آتياً من دار الحكومة، فلما بصر بي تبسم وقال: ماعندك من الاخبار؟ فقلت: الاخبار عندك وها أنت قادم من المتصرفية. فرد علي قائلاً: ان المتصرف طلبني وكلفني أن أخبرك بانه يطلب حضورك في الساعة السادسة بعد الظهر، الا اني ارى أن لاتذهب لمواجهته، لأني رأيته مضطرباً ومنفعلاً. ولما كان أحمد أفندي يهدف من وراء هذه الاقوال تخويفي، قلت له الأجدر أن نذهب معاً او اذهب أنا قبلك، لأنه ربما يفسر عدم حضوري بالجبن ثم تركته، فصادفت أحد أقاربي، فقال لي بكدر وألم شديدين: أن الناس يتكلمون عليك. فقلت وماذا يتكلمون؟ قال: يقولون انك متفق مع الآثوريين على الإسلام. فقلت ومن قال ذلك؟ قال الشيخ محي الدين وملا عبدالله وغيرهما من العلماء نقلاً عن بعض الاشخاص الصالحين. فقلت لاحول ولا قوة الا بالله وهل انت صدقت بهذه الاراجيف التي ينشرها الإنكليز وعملاؤهم؟ فرد علي قائلاً: أنا لم أصدق بها ولكن ما العمل وقد لاكت الالسن هذه المزاعم. قلت اذاً لنذهب الى تكية

(٢٠) بالعامية: أي الدخول عليكم محظور (الناشرون).

الشيخ محي الدين علنا نجد بعض الجماعة. فسرنا ولما وصلنا الى التكية شاهدت الشيخ محي الدين واقفاً بين الناس وهم يتهيأون للصلاة. وبعد السلام عليهم قلت سمعت انكم إغتبتموني وانا بريء من ذلك فضعوا ايديكم على ضمائركم ثم احكموا بالحق. اني رجل كردي صميم ومسلم حقيقي وربما كان اعتقادي بالدين الحنيف أقوى من اعتقادكم. فصاحوا (هذا الذي نعرفه فيك). فزدت قائلاً وأنا اكشف عن ساعدي واضرب بيدي اليمنى على شرايين يدي اليسرى: أنظروا الى هذا الدم الساري في هذه العروق فهو دم لم تدنسه أموال الدنيا وحطامها، أتصدقون أقوال الجواسيس بما يرجفون عني وأنا أول من حارب فكرة العمل مع التياريين لاني أعلم علم اليقين أن اليوم الذي تثبت فيه أقدام الآثوريين في هذه الربوع لهو يوم الفناء بعينه؟ ومن يرضى بهذا غير الحقير والعفن الضمير؟ فارجو منكم ان تتحققوا أولاً عن مصدر هذه الشائعات ومختلقها، فإن تحقق لديكم صدقها فدمي حلال لمن يسفكه، وبخلافه فأنتم اولى بتأديب ناشرها. وبعد البحث والتحقيق عن الرجل الذي نشر التهمة تمكنّا من العثور عليه في احدى المقاهي، فاشبع ضرباً لأنه كان من منسوبي دائرة الاستخبارات الإنكليزية. ثم اني بعد ذلك زرت بعض الاصدقاء والاقارب، فأخبرتهم أن المتصرف يطلب مواجهتي واني ذاهب اليه اليوم وقد يكون هناك بعض التدبير أو التآمر علي من قبل أحمد أفندي والمتصرف. لذلك رجوتهم أن يكونوا على بينة من الامر، لأن أحمد أفندي كان قد أخذ على عاتقه العمل على عرض كل صغيرة وكبيرة على دار الإعتماد او المتصرف. وهو شخص كما يقول عنه الميجر (هاي) في مؤلفه (سنتان في كردستان، اما أحمد افندي فهو أصدق من الكلب للإنكليز[٢١]، فما عساي أن أقول عنه غير ما عرضت؟ وفي الوقت المعين ذهبت لمقابلة المتصرف في السراي، فوجدت الجماهير محتشدة هناك . ولما نزلت من السيارة هتف المجتمعون، فصعدت أطلب المتصرف. وما ان دخلت عليه حتى بادرني بقوله

(٢١) ليس في كتاب هاي وصف كهذا للسيد أحمد عثمان ولا هو قريب منه. وهو من خيال المؤلف (الناشرون).

ما هذه الهتافات؟ فاجبته وما أدراني؟ ولم لاتسأل أحمد عثمان عنها؟ ثم سألني عن أحمد أفندي. فأجبته: أنت أدرى به وهو صديقك. ثم التفت يمنة ويسرة وقال: اصحيح انك قد حررت بعض المضابط وأرسلتها الى المندوب السامي؟ فضحكت وقلت: اما هذا فسؤال غريب، فالمضابط التي تتحدث عنها والتي نظمت لغرض خاص، قد حررها أحمد عثمان وهو الذي أرسلها بالبريد الى بغداد. وفي هذه الاثناء نظرت من النافذة فشاهدت أحمد أفندي قادماً الينا، فقلت للمتصرف ها هو أحمد أفندي آت فأرجو أن تسأله عنها. ولما حضر وجلس خاطبته بقولي ان سعادة المتصرف يسأل عن المضابط ويسند تنظيمها وارسالها اليّ، فارجو اخباره بحقيقة الامر. فسكت، فصحت به ألم تقل لي انك نظمتها وارسلتها قبيل حضوري الى اربيل؟ فتنهد ثم اخذ يتكلم مؤيداً اقوالي.

وقبيل انتهاء هذه المقابلة قال لي المتصرف سمعت انك قد اتفقت مع الآثوريين على العرب، فكيف تجرؤ على ذلك؟ فقلت له اما هذا فليس من شأني، لأني رجل مسلم لا يصدر مني مايخلّ بديني، واذا كان القصد من هذه الحكايات ارغامي على ترك اربيل، فإن هذه السفاسف لا تؤثر في ولن اخرج منها، الا بأمر الوزارة نفسها. فرد المتصرف قائلاً: يا اخي انّ حميّتك وغيرتك معلومتان لدى الجميع، ولكني ارجوك ان تترك اربيل بغية استتاب الامن فيها. فقلت له لم يصدر مني ما يخل بالامن حتى يستتب بذهابي، وجل ما هنالك اني كنت اريد فتح فرع لنادينا فأفسد المسعى. اما الذي يحاول الاخلال بالامن واشاعة الفوضى فهو معلوم لديكم ولأية غاية ولمصلحة من يقوم بتلك الاعمال!!؟

ثم تأهبت للخروج، فألتمسني المتصرف ان اصرف الجماهير المحتشدة فخرجت وأشرت للناس بأن ينصرفوا، فإنصرفوا دون أن يقع اي حادث يذكر. ورجعت انا بدوري الى قصر الملا افندي، فاخبرته بما حدث فاظهر أمتعاضه من تصرفات ابن عمه أحمد عثمان.

المستر كنگ وماأدراك ما كنگ

وفي الصباح جاءني فراشَ المتصرفية وقال أن المفتَش الاداري (المستر كِنگ) يريدك فذهبت اليه. ومع جلوسي خاطبني بقوله (انت شتسوي هنا؟) فأجبته وانت ماشأنك وما اعمل؟ فرد علي قائلاً: علمت انك تعمل اموراً تخل بالادارة. فقلت له: وما هي؟ فضرب بيده على المنضدة وهو يصيح انك تحرك الأكراد على الآثوريين، لكنك يجب أن تعلم بان حكومتنا مصرة على اسكانهم على طول خط بروكسل). فقلت له ببرودة ومتى سيتم هذا الاسكان؟ فاجاب ما أدري ولكنك يجب ان تترك اربيل حالاً. وحيث أن قوله هذا كان بغضب لا يهضم قررت ان اعطيه درساً، فقلت له احلم قليلا واسمع مني قولاً. إن عملاءكم بالامس اتهموني بالاتفاق مع الآثوريين وانت اليوم تقول بتحريكي للأكراد على الآثوريين، فأريد أن اعلم ايكما صادق في اسناده وادعائه؟ ثم انك تقول أن حكومة بريطانيا قررت اسكان الآثوريين على طول خط بروكسل، فمن اعطى بريطانيا الحق في ان تهب وتعطي بلاداً لا تملكها هي. اني الآن سأعلن للملأ بان يستعدوا لحرب هؤلاء الوافدين مادمتم تريدون اسكانهم في أراضينا، فاما ان نموت كراماً او تبقى لنا اوطاننا. ولما كان قولي هذا بصوت جهوري بحيث اجتمع بعض الفراشين ليسمعوا ما كنت

المرحوم السيد طه السيد صديق الشيخ عبيدالله النهريني قائمقام رواندوز الأسبق الذي ورد ذكره عند الحديث عن دخول النساطرة الى العراق من جلفا وهو في هذه الصورة يقف بجنب مدفع صنعه (اوسته رجب) الكردي في عهد الامير محمد باشا كور الرواندوزي.

اقول. قام حينئذ من محله وأدرك مافرط منه، وبدأ يضحك قائلاً:انا سوي شقة معك"(٢٢). وتقدم مني واضعاً يده على كتفي وهو يقول:أنت عاقل لا تسوي موزين"(٢٣). غير اني تركته وخرجت ألعن السياسة، ورجعت الى قصر (الملا افندي). وبعد الغروب بساعة جاءت سيارة الى القصر ونزل منها رجل، فأخبرت انه يطلبني للمواجهة. وعندما قابلته قال أن بعض المخلصين في السيارة يريدون التحدث اليك عن أمور سرية هامة. فقلت له قل لهم انه ليس بيننا سريات وان كان عندهم خبر هام فليخبرني أحدهم به فسكت. فصحت به لم أنت ساكت فارتبك وارتج عليه القول وتلجلج لسانه، فعرفت من الوضع ان هناك من يحاول ابعادي عن اربيل. فقلت له ياخائن والله لولا هذا البيت لهشمت رأسك، فهرول خارجاً. فصرخت السيارة راجعة بالمتآمرين بخفي حنين. فاخبرت (الملا افندي) بما جرى، فقال جاءوا ليقبضوا عليك دون حياء وانت ضيفي. ثم بينت (للملا افندي) رغبتي في السفر لئلا يقع ما يزعجه في داره، فامر السائق (جواد) ان يكون على أهبة الاستعداد للسفر بي الى كركوك صباحاً. وهكذا تركت اربيل ووصلت كركوك مع بزوغ الشمس. وفي الحال كتبت الى وزير الداخلية كتاباً مفصلا وصورة منه الى المستر ادموندس مبيناً فيه ماقاله المستر (كنگ) وتصريحاته بشأن إسكان الآثوريين على طول خط بروكسل رغم انف الأكراد. وعند عودتي الى بغداد قادماً من السليمانية، ذهبت لأواجه الوزير فشاهدت (كنگ) فقال لي:معروف انا اروح فلسطين ما ارجع".ف قلت له:عال زين برتقال تأكلون هناك". فإنهزم ودخل غرفة معاون المستشار ادموندس. وبعد خمس دقائق دخلت على ادموندس، فقال لي ان كنگ قد جاء مشتكياً منك. فقلت له لم أفعل ما يوجب الشكاية، سوى انى قلت له في فلسطين يوجد برتقال كبار وهذا كان جواباً لقوله بانه ذاهب الى فلسطين. فضحك وضحكت.

(٢٢) بالعامية أي إني أمزح معك (الناشرون).

(٢٣) أي لاتقدم على أمر سيّء (الناشرون).